الدليل الامين

للسياحة البهيه في الاقطار المقدسة الشاميه

بقلم

الفقير نخله صالح

سنة ١٨٧٥

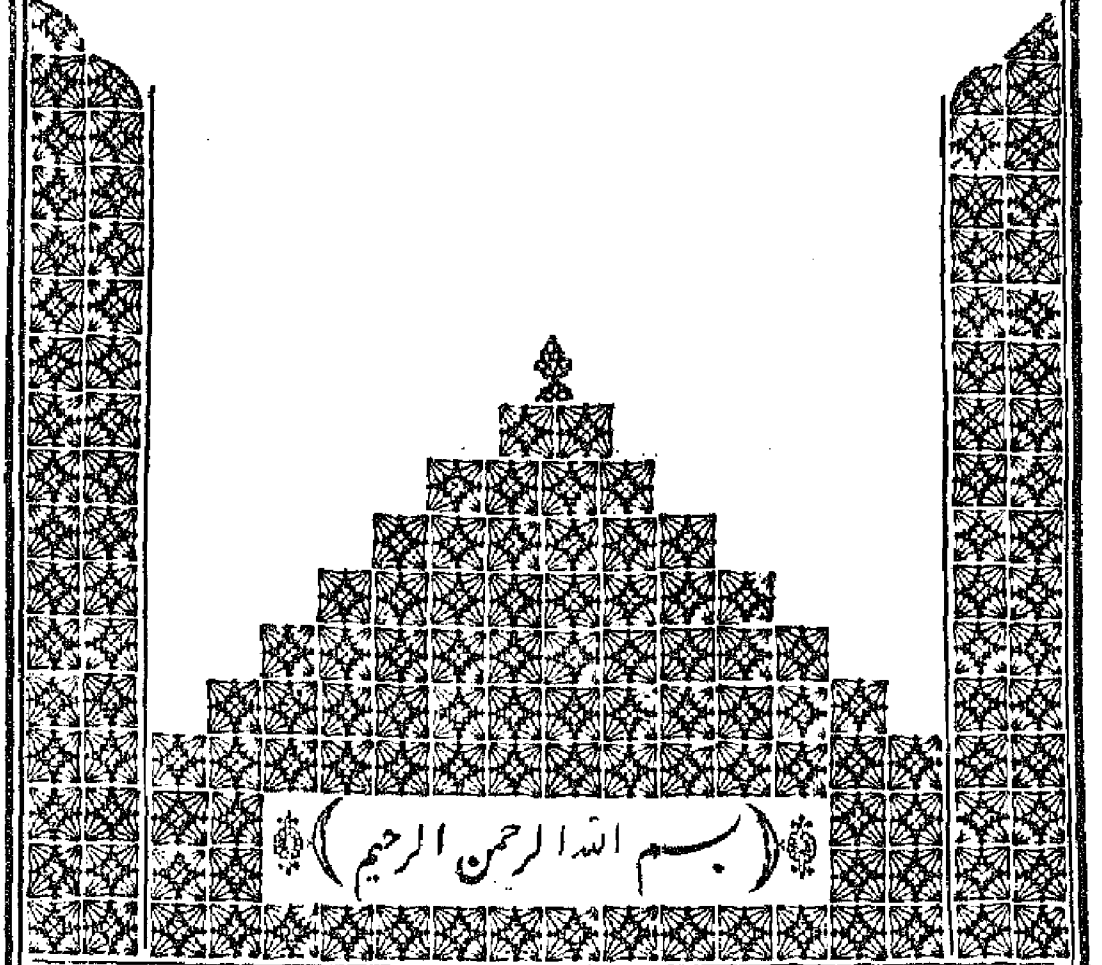

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بمنه وفضله يسهل في لجج الابحر سير الفلك الماخر
ويجزيل انعامه يهتدي السائرون في البر والبحر ليلا ونهارا على
الانعام والبوارح والبواخر نشكره حيث انه مولى النعم الظاهرة
والباطنه ونسأله من فيضه العميم ان يلبس رحلتنا هذه تاج البهاء
ويجعلها لدى أرباب العقول مقبولة مستحسنه ﴿ وبعد ﴾ فيقول
الراجي من فضل ربه انجاز جميع المصالح الفقير الى مولاه مخلد صالح
انني طالما كانت نفسي متشوقة الى السياحة في الاقطار الشاميه
كي امتع بصري بمناظرها الحسنة وآثارها البهيه فسهل الله سبحانه
لي هذا الامر في أقرب زمن و بلغت مأربي منه على وجه رائق حسن
ولما رجعت الى هذه الديار سالما و ببلوغ مطلوبي وما كنت اتمناه
بعونه تعالى غانما أردت ان انشر هذه الرحلة في قالب لطيف وشكل

مستحسن

مستحسن ظريف وضمت اليها ما رأيته وأنا مسافر فى الذهاب والاياب من الامور الغريبة والحوادث العجيبة التى هى من العجب العجاب كى يسهل على قارئها الوقوف على حقيقة تلك البلاد وانه اذا أراد أن يفعل مثلى من السياحة فيها يكون على بصيرة من أحوالها وتنور فؤاد واذا أراد القاعد عن ذلك اكتفا بقراءته لتلك الرحلة واطلاعه عليها يكون بامعان نظره فيها كأنه شاهد تلك الاماكن وان لم يصل اليها فعلى كل حال قد حصل الظفر بالمطلوب وفاز بادراكه الامر المرغوب وسميتها الدليل الامين للسياحة البهية فى الاقطار المقدسة الشامية واسال المولى الكريم المنان أن يجعلها تذكرة لذكرى فى كل آن انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير

(اعلم) اوفقنى الله وايالك انى كنت مولعا بالسياحة فى بعض الاقطار الشامية وقد سمح لى دهرى بالظفر بتلك الامنية فشددت غرار العزيمة على هذا السفر واثقا بالله مستعين وذلك فى شهر آب سنة الف وثمانمائة وأربع وسبعين وشرعت قاصدا مدينة الاسكندريه بطريق السكك الحديديه التى تفضلت بتكثيرها الحضرة الخديويه فى الاقطار المصريه فلما وصلت الى هنالك وجدت سفينه بخاريه فرنساويه تدعى ايليسوس متوجهة الى نحو تلك الجهة وكان مترئسا عليها القوماندان بنيى الانخم فصممت على السفر فيها حيث كانت انخر من غيرها وأعظم وبمروري من قلم الباسابورتات صادفنى شخصان فيه خالفان من الطائفه مشتغلان على اخلاف بالغه شأو الكثافه وحصل لى منهما بعض كلام كدر خاطرى فررت فى طريقى واغضيت عنهما ناظرى متمثلا بما قيل من الشاعر النبيل

واغفر عوراء الكريم ادخاره * واعرض عن شتم اللئيم تكرما

ثم بعد ذلك ودعت بعض احبائى ونزلت الى السفينة متأسفا على فراق
اصدقائى وخرجنا من مينا الاسكندرية فى الساعة الرابعة بعد
الزوال متوكلين فى سفرنا على الرب المتعال ولا يغفل قلمى القاصر
عن شرح ما وجدته من نظافة تلك المركب التى هى أجل نزهة
لنفوس ذوى اللطافة وأرغب وكذلك حسن أدب رئيسها الماهر
الذى أخذنى منه العجب الوافر لاسيما ان النظافة من الايمان
وهذا فضلا عن فوائدها الجمة العامة لكل انسان وما غربت
فى الافق ذكاء حتى غابت عن أبصارنا مدينة الاسكندرية الجميلة
المنظر والبهاء ومن الالطاف الخفية لرب العالمين لم يصبنى شئ من
امراض البحر التى تحصل فيه لاغلب المسافرين ولا يخفى ان الركاب
النازلين فى أية سفينة تميل نفوسهم الى معرفة قرنائهم وترتاح من
الوقوف على حقائق أحوال رفقائهم فلم تمض برهة من الزمان حتى
عرفت أغلب من كان معى فى تلك السفينه وصرنا كأننا أحباء من منذ
أعوام مع صدق صحبة متينه ثم بعد ان تناولنا شيأ من الطعام صعدنا
على السطح للتنزه والتفرج مع تجاذب ملح من اطراف الكلام وذلك
كالمحاسن الادبيه ولطائف الفوائد العلميه فبينما نحن كذلك اذ رأينا
شابا ناظريفا منعزلا عنا ومتباعدا فى مجلسه منا وكان كاسف البال
كثير البلبال فاقتربت فى مجلسى اليه وسألته عما هو منطوى عليه
فاجابنى انه لم يكن به شئ مكدر الا انى وجدت منه تاوه النادم المتحسر
لاسيما وهو فى قلق واضطراب وحالة تغيره لا تخفى بما انه كالوجل
المرتاب فدققت معه السؤال كى أطلع على كنه بلواه ومازلت
معه فى ممارسة ودقة بحث حتى بث لى شكواه فتيقنت من حال هذا
الشاب انه عاشق امرأة لم يذكر لى اسمها معتقدا عشقها له وهيامها

لما كانت تصنعه معه من شدة خداعها وآل أمرها الى ان هربت
منه الى جهة القسطنطينية مع رجل آخر فجد فى طلبها ولم يعثر عليها
وبلغه انها مكثت هناك مدة يسيرة وذهبت هاربة مع رجل ثالث غير
الذى كان معها سافر فعاد الى الاسكندرية محبط العمل خائب
الامل لقصد أخذ ما يلزمه من المال وعزم بعد ذلك على الارتحال
فركب فى تلك السفينة التى كنا فيها قاصدا مدينة بيروت البهية زاعما
قصد الانتقام من تلك المرأة على افعالها الغير مرضية فتأسفت على
هذا الشاب الاسف الذى لا مزيد عليه وأخذت اسليه بالكلام كى
يسهل عظيم أمره لديه تارة بحسن المناظر الطبيعية وأخرى بباهر
مرأى الاشياء التى بواسطة سرعة سيرها قربت البلاد الى بعضها
وذلك كالآلات البخارية اذ كانت حاضرة لدينا وسهلت مشاهدتها
علينا وقد مضى لى على تلك التسلية زمن طويل ولم يؤثر فى هذا
الشاب من كلامى كثير ولا قليل فلما انتصف الليل تركته حيث
لم يلق لى منه أدنى اعتبار وذهبت الى مضجعى ونمت حتى طلع النهار
فلما أصبحنا فى ذلك النهار السعيد وجدنا أنفسنا بالقرب من بوبت
سعيد فقمت من مضجعى وأكلت بعض لقيمات وصعدت على سطح
السفينة لبعض تنزهات فلاح لى فنارها الباهر ومصباحها الزاهر
فاصغيت النظر فيه فوجدته مصباحا مركبا على عمود يبلغ ارتفاعه
خمسة وخمسين مترا يصعد اليه بلولب من داخله وهو متقن البناء
يبلغ نوره مسافة بعيدة يهتدى به السفن ولم تتم الساعة الثانية بعد
الشروق حتى رسينا فى تلك الميناء ثم خرجت الى البر ودخلت متفرجا
فى تلك البلدة الحديثة الوجود التى سيأتى الكلام عليها فى محله
بتيسير الملك المعبود ثم رجعت الى السفينة حيث استغرقنا جميع

النهار فى تلك المينا ولم نخرج منها الا عند غروب الشمس حيث ان سفن الركاب القادمة الى تلك الجهات والراحلة عنها تسير فى الليل وتقيم النهار فى الاساكل لتفريغ البضائع وشحنها

فلما خرجنا من تلك المينا جاء فى العاشق المذكور آنفا وكنت لم أره نهارا بسبب انه كان منفردا وحده وقال لى ياسيدى انى لا ارغب ان اشوش عليك بذكر وصف حالى فلا تؤاخذنى على انعزالى وانفرادى واسمح لى بان أزورك فى الجهات التى يتصادف وجودنا فيها باثناء سياحتك فشكرته على ذلك وحيانى تحية الانصراف وذهب الى موضعه واما انا فكنت لا أزال امتع انظارى بالمناظر الجميلة واسبح الله على حكمته وقدرته الجليلة حتى انتصف الليل وبعد ذلك نمت الى الصباح فلم تتم الساعة الثانية بعد الشروق حتى ظهرت لنا مدينة يافا على قمة جبل كانها قلعة ورسينا بعيدا عن البر بمسافة تزيد على ثلاثة آلاف متر لكثرة الصخور الموجودة فى تلك المينا الردية ولما أردت ان أدخل هذه المدينة ركبت فى زورق ومررت من محل ضيق بين صخورها هائلة واحجار عائلة يبلغ عرضه نحو ستة امتار كثير الاخطار عظيم الاضرار فانه قد يتفق ان الامواج العالية تقذف الزوارق على تلك الصخور فتهشمها وتحطمها ولكن ملاحى تلك المينا ذوو دراية عظيمة فى صناعتهم فضلا عن حذاقتهم ومهارتهم (واقول) ان السفن لا ترسى فيها احيانا خوفا من ضررها وكان البحر والله أعلم لما رأى حسن ظاهر هذه المدينة عشقها واشتد به الهيام والوجد والغرام واقترب اليها وخر تحت رجليها ولكنه لما عرف حقيقة أمرها وماهى منطوية عليه قبحت عنده فولى الادبار وطلب الفرار ولم يكتف بهذه الافعال بل قذفها بصخوره الثقال لتكون حاجزا

بينها

بينها وبينه (واما) حالة داخل المدينة وسكانها فسيأتى الكلام عليها فى محله وبعد برهة من الزمان رجعت الى السفينة قبل الزوال لانه قد بلغنى ان أخطار البحر تتضاعف فى تلك الميناء بعد ذلك الوقت ثم أتممت النهار مع باقى الركاب فى انشراح وسرور وارتحلنا عند غروب الشمس ولم نكتشف جبل لبنان الا عند الصباح وبعد ذلك لاحت لنا مدينة بيروت

(الكلام على مدينة بيروت)

هى مدينة مرتفعة من الجهة الغربية على رأس ممتد فتظهر للرائى اذ ذاك جميع بيوتها الجميلة المنظر متقنة البناء واسطحة بعضها على شكل جملون لقصد عدم استقرار ماء المطر عليها وتصريفه عنها فكل من نظر اليها يظنها بيوتا خاوية محاطة برياض وبساتين سندسية (واما مبناها) فهى احيانا خطرة نظر الرصيف الغير كامل الذى فيها فلما رسينا بها حظيت بمعرفة حضرة الشاب النجيب الاديب الاريب اسكندر افندى نحاس وبعد ان ركبنا فى زورق وطلعنا تلك المدينة ذهبنا الى لوكاندة تتلاطم أمواج البحر بجدرانها وهى لرجل يسمى بسول من أهالى تلك البلدة وبوجد هناك لوكاندات مؤتمنة تحت رياسة أناس من أهالى تلك الديار وخصوصا بالقرب من رأس بيروت مثل لوكاندة بولس وبسول وغيرهما التى يتفق الانسان فى احداها من سنة فرنكات الى اثنى عشر فرنكا فى اليوم والليلة وليس بينها وبين اللوكاندات الاوروبيه فرق أصلا

وبعد ان غيرت ملابسى ذهبت الى دار حضرة رفعتلو سليم افندى البستانى فوجدته هناك وتلقانى باحسن ملاقاة وهو شاب ظريف متضلع بالآداب والمعارف محلى بمحاسن العوارف

واللطائف ففرجني على داره الجميلة البناء وهي دار فسيحة فيها المطبعة والمدرسة الفائقة على مدارس الشرق نجاحا ونظاما وهي مؤسسة من منذ ثلاث عشرة سنة تحت رياسة حضرة والده عزتلو بطرس افندي البستاني وكان حضرته اذ ذاك يبدل الهواء في جبل لبنان وهذه الدار عليها السعادة لائحة ولسان حال داخلها يقول

الا يا دار لا يعروك سوء * ولا يكبو بصاحبك الزمان
فنعم الدار تاوي كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ويوجد بالقرب من هذه الدار مدارس كثيرة والمظنون انه لا بد من ان يعود الى بيروت لقبها القديم اذا استمرت على هذا التقدم لانها كانت تعرف بمدينة العلماء في القرن الثاني والثالث للمسيح كما سيأتي تفصيل ذلك في محله ثم انصرفت من هنالك متفرجا على اسواق المدينة (فاما الاسواق الداخلية) فهي ضيقة وصر تفعة عن بعضها بحيث يمر الانسان احيانا من احدها الى الآخر بواسطة سلم يبلغ نحو ثلاثين مرقاة ومع ذلك فانها مفروشة بالحجارة غير منتسقة ولا متناسبة فيتعسر المرور منها (واما الاسواق الخارجية) فهي مترية بحيث يصعب على الانسان الذهاب فيها سواء كان راجلا أو راكبا لانه يظلله التراب كسحابة وذلك لقلة الماء فيها في زمن الصيف (واما ماؤها) فهو غير عذب لانه مستخرج من الآبار ولكن ان شاء الله باتمام التشغيل الجاري في توصيل نهر الكلب اليها يتيسر وجود الماء العذب فيها وتتحسن حالة اسواقها (واما أهالي تلك المدينة) فهم نوعان منهم من يحب المعاشرة وهو الذي يأنس الغريب بصحبته والاختلاط معه ومنهم من يجد في الخلوة راحة كأغلب المسلمين وبعض المسيحيين وجميعهم موصوفون بالنخوة والفتوة والشهامة والمروة

وحظيت

وحظيت هنالك أيضا بمعرفة حضرة عزتلو ايلياس بيك سرسق
وحضرات جرجي افندي ديمتري سرسق ويوسف افندي الشلفون
وخليل افندي سركيس وخليل افندي دياس وخليل افندي خياط
واسكندر افندي خماس الذي تلقاني بالميناء وقد قادوني الفضل
الجزيل والمعروف الوافر الجميل فان البعض منهم لم يتركني في مدة
غربتي وتلهبوا انستهم منيتي وبغيتي لاسيما وقد اوقفوني على أحوال
بلادهم (واما منتزهات هذه المدينة) فهي الحرش والخاضة وغيرهما
فاما الحرش فهو شجر الصنوبر وهو مرتفع كالنخيل الا ان جذعه
دقيق ورأسه مكسو بورق اخضر سندسي وبه ثمر يشبه الخرشوف
وداخله الصنوبر وهذه الجهة مشحونة من هذا الشجر الذي عند
ما يصل الانسان اليه ويسمع تغريد الطيور عليه يتخيل انه في جنات
زاهية باهره ورياض زاهره (واما الخاضة) فهي سهل مشحون بشجر
التوت بالقرب من نهر بيروت الذي يجف ماؤه في الصيف ويمتلئ في
الشتاء من ماء الامطار وفيها محلات مستعدة لشرب المكيفات
فتذهب الناس اليها للتنزه على عدد الاوقات (واما طريقها) فهو مثل
باقي الطرق المتربة * واما مركز المدينة فهو على لسان ارض مثلث خارج
من جبل لبنان كما تقدم يبلغ طوله نحو الخمسة آلاف متر ومن أراد
الوقوف على شكله فعليه بالقلعة التي فيها العساكر الشاهانية هنالك
لانه يرى منها الميناء وما فيها في جهة وفي الجهة الاخرى المدينة التي
كأنها نقش في حلل خضراء في وسط الرمال الكائنة عند سفح جبل
لبنان المشحونة أكنافه السندسية بالضياع والقرى ورؤسه مكللة
احيانا بالثلج ولذلك قد سميت بادرة الشرق لان الانسان يجدها كحورا
هامتها في السحاب وأقدامها في الماء متكئة على وسادة خضراء

مستغرقة فى بحار التيه والدلال

وقد كان لهذه المدينة سور وقلاع غير ان جانبا من أبراجها هدمته مدافع المراكب الانكليزيه فى سنة ١٨٤٠ عندما أرادت اخراج الدولة المصرية من تلك الديار وفيها كثير من الاطلال البالية والرسوم والامكنة الخالية المردومة تحت الارض فحيثما حفروا فى أرضها وجدوا احجارة عظيمة وتماثيل صنمية وأعمدة جسيمة وغير ذلك مما يدل على عظمتها وشهرتها فى الازمان السالفة وكان قد وجد عند بعض ابوابها مجرى ماء منقورة فى باطن صخر شديد الصلابة ذات ارتفاع بحيث يمشى الرجل فيها منتصب القامة وكان ذلك فى سنة ١٢٦٢ من الهجرة فأمر وجيه باشا الوالى فى ذلك الوقت باختبار حالها فتتبعوها فوجدوها تجلب مخلفات مياه الامطار الى تلك المدينة ولكن واأسفاه فانه بعد ما عزل ذلك الوالى تركوا هذا العمل الذى قد اتفق عليه أمم الاجسمة (واما) بجهة الشمال الشرقية على مسافة نصف فرسخ بطريق طرابلس فيوجد قبران أحدهما باليمين والآخر باليسار مبنيان بحجارة بيروتية يقال والله أعلم انه كان مار جرجس قتل التنين هنالك ونهر الكلب على مسافة ساعتين ونصف من تلك الجهة

وهواء بيروت لطيف الا فى نواحى نهرها حيث تكثر الامراض فى اوقات الصيف وأفضل احياء بيروت هواء وماء حى المسيطبة وهنالك صخور رملية كثيرة تقطع منها حجارة المدينة وبين بساتين بيروت وسفح جبل لبنان سهل واسع مخصب يروى من ماء نهرها كما تقدم وفيه بساتين كثيرة وبالجنوب الشرقى غابة زيتون عظيمة مسافة طولها ثلاث ساعات وعرضها نصف ذلك يقال لها صحراء

الشويفات وقيل ان أشجار الزيتون الهائلة التى فيها هى من أيام الرومانيين ولذلك يقال لها رومانية وتكاد ان تكون عديمة النظير فى بلاد العرب

وزعم قوم ان بيروت هى المدينة القديمة المعروفة باسم جريس التى كان بناها البرجاثى الولد الخامس لكنعان بن حام بن نوح (وقيل) ان صانورن الذى بناها ولكن الصواب ان أصلها مجهول غير ان فلافيوس المؤرخ يقول انها هى بوتريس القديمة التى كانت تابعة للفينيقيين وبناها توبال ملك صور وصيدون فى سنة ٩١٠ قم ثم أخذها شلمناصر عند ما حكم جميع بلاد فينيقية فى سنة ٧٢٠ كذلك نبوخذنصر فى سنة ٦٠٦ والاسكندر الاكبر فى سنة ٣٣٠ واما هيرودس الاكبر فانه أوجد فيها اسواقا ومساجد ومحلات للملاهى وما أشبه ذلك وهو الذى أمر مائة وخمسين من وجوه رجاله وامراء دولته بان يحكموا بالموت على اسكندر وارخلاوس ابنيه اللذين من مريم آخر سلالة المكابيين ثم سارت بيروت اقليم أرومانيا فى ايام اغسطس قيصر الذى اعطاها حقوق المدن الرومانية الاصلية وسماها باسم ابنته جوليا اوغستا فيليكس بريتوس وكانت الرومانيون تسميها فيليكس اى السعيدة وقد زينها الملك هيرودس اغريقوس وشيد فيها ملاعب واروقة وحمامات وغير ذلك وعند ما تلقب فيها فسباسيانوس بالامبراطورية ذهبت الرسل اليه بالتهانى والهدايا من بعض الجهات الاخر ثم بعد ما انتصر تيطس على بنى اسرائيل خرب اورشليم وذهب اليها حيث صنع وليمة لتذكار ميلاد ابيه وأمر اسارى اليهود فى ذلك اليوم بمصارعة بعضهم بعضا حتى هلك منهم جم غفير وكانت اذ ذاك مدينة بيروت ذات رونق وبهجة جسيمة وسطوة وشوكة

عظيمة وكان فيها مكاتب لاغلب العلوم واستمرت على هذه الحالة حتى
اشتهرت فى القرن الثانى والثالث للمسيح بمدرسة علم الفقه ومدينة
العلماء وذهب اليها تلامذة من بلاد اليونان ومن الديار المصرية
وكثرت فيها المسيحيون ثم حرق يوليانوس الكافر فى سنة ٣٦٩ بم
الكنيسة الكبيرة التى كانت فيها ثم خربها زلزلة عظيمة فى سنة ٥٦٦
ثم ذهب اليها كورش ملك الفرس فى سنة ٦١٤ وخرب جميع
كنائسها ثم تغلب عليها المسلمون ثم أخذها بودوين الاول فى سنة
١١١١ بعد ما حاصرها شهرين ثم استرجعها صلاح الدين الايوبى
فى سنة ١١٨٧ لما سلمت اليه فى اليوم العاشر من الحصار وتتوج
فيها بتاج سلطان دمشق وسوريا وبعد ذلك بعشر سنوات حاصرها
أمورى ملك قبرس بحرا وبرا وكانت حكامها قد هربت قبل وصوله
فأطلق منها تسعة عشر ألف أسير ثم وجدت الصليبيون فيها الاموال
الجسيمة والغنائم العظيمة التى جمعها المسلمون وغيرهم فى الحروب
السالفة واستمرت تلك المدينة فى ايدى الصليبيين حتى تغلب عليها
المسلمون فى سنة ١٢٩١ وكانت قد ضعف أمرها من تكاثر الحصار
ولم تستحصل قسوس اللاتين على ديرهم الذى كان أخذ منهم رغما عنهم
الا فى سنة ١٤٢١ ولكنهم خرجوا ثانيا من تلك المدينة ولم يعودوا اليها
الا فى سنة ١٨٢٩ فالجامع الكبير الموجود الآن فيها هو كنيسة
اللاتين القديمة ثم صارت بيروت فى القرن السابع عشر تحت حكم
الدروز حيث بنى بها فخر الدين دارا حصينة لاقامته ومات فيها فى اثناء
مدافعته عساكر السلطان مراد الرابع عن بلاده وبعد ذلك انتقلت
الى المسلمين ولكنها كانت قد انحطت درجتها كثيرا ولم يبق لها اعتبار
حتى أخذها صاحب السطوة والشهامة ابراهيم باشا فى سنه ١٨٣١

فلما

فلما صار ترتيب دار وزارة الديار الشامية فيها فى سنة ١٨٤٠ أخذت فى التقدم وتضاعف عدد سكانها ثم صارت اقليما عثمانيا وقد استولى على هذه المدينة كل من حكم فيها من الاشوريين والفرس واليونانيين والرومانيين والمسلمين وفى سنة ١٨٦٠ اتفقت الدروز مع المسلمين وأحرقوا بلادا وأماكن كثيرة فى جبل لبنان فالجهتان اللتان فاقتا الحد قساوة وجفوة وعتوا وتمردا هما دمشق ودير القمر ولا يسعنا ذكر ذلك بالتفصيل فى هذا المختصر ولم تجد المسيحيون اذ ذاك ملجأ لهم خلاف بيروت فالتجؤا اليها حتى اسعفتهم الجيوش الفرنساوية أصحاب الهمة والمروة واقتصوا بمساعدة الدولة العثمانية من القوم الباغين قصاصا عظيما

وبعد ان شاهدت أغلب جهات مدينة بيروت عزمت على السفر الى دمشق مع عربة البوسطة التى ترحل من هناك فى الغروب لانه يسافر من بيروت الى دمشق عربتان فى كل يوم وكذلك من دمشق الى بيروت احداهما تسافر قبل الفجر وتسمى عربة الديليجانس التى سيأتى الكلام عليها فى محله والاخرى تسمى عربة البوسطة يجرها ثلاثة أفراس وترحل فى الغروب كما تقدم بأربعة من الركاب غير ان طول مقعدها متر وربع وعرضه متر واحد ويأتيه من خلف وبدائره شبابيك ويدا خله يمينا ويسارا فراش وثيرمن تفع يبلغ عرضه نحو خمسة وعشرين سنتيمترا فلا يتمكن الجالس فيها من النوم فى تلك المسافة الطويلة لانه يكون جالسا على غير راحته والمسافة بين بيروت ودمشق أربع عشرة ساعة لانها عبارة عن اثنى عشر كيلومترا ونصف والكيلومتر عبارة عن ألف متر

(الكلام على مدينة دمشق وطريقها)

ثم انى لما ركبت فى تلك العربة لم تمض ساعة حتى صرنا على قمة جبل لبنان فظهرت لنا بيروت الجميلة المنظر كأنها تحتنا وكنا نجد انفسنا بعد ذلك فى أغلب الاحيان بين جبل و وادٍ فاما الجبل فهو شامخ واما الوادى فهو عميق بحيث يتعذر على الانسان تحقيق ما فيه والطريق الذى تمر فيه العربة المذكورة لا يزيد عرضه على خمسة أمتار فلما قطعنا جبال لبنان وصلنا الى جبل الشيخ الموجود الثلج عليه بشكل البلور مدة جميع السنة بما انه يبلغ ارتفاعه عشرة آلاف قدم وهى عبارة عن ثلاثة آلاف متر ويوجد بين هذا الجبل والجبال المتقدمة سهل مخصب معد للزراعة فيه و بالطريق عشر محطات تقف العربة فى كل واحدة منها لتغيير الافراس وأهالى تلك الديار ممنونون للاوروباويين حيث جعلوا بلادهم متصلة ومرتبطة بعضها بعد السلوك التلغرافية فى فلسطين وفى الديار الشامية وانشاء تلك العربة التى أراحتهم من ركوب الدواب من منذ ثلاث عشرة سنة وذلك بمساعدة الدولة العثمانية

و بعد ذلك دخلنا فى غوطة دمشق المشحونة بالبساتين واشجار الحور الجسيمة المغروسة فيها يمينا ويسارا وفيها سبعة انهر تجرى بحيث يفوق خريرها دوى العربة فلم أحل من رؤية تلك المياه التى تنصب من أعلى الجبل الى أسفله وتقر برؤيتها العين وينشرح الصدر ولم تزل العربة سائرة بين هؤلاء البساتين والرياض الزاهرة والقصور الجميلة الفاخرة المعمورة بساكنيها الموصوفين بالحسن والجمال والادب والكمال حتى وصلت بعد الشروق بساعتين الى اسوار مدينة دمشق

وهذه المدينة هى أشهر مدن الشام وقد سمتها العرب بهذا الاسم وهى من أقدم المدن لانها موجودة من أيام ابراهيم الخليل كما يثبت ذلك

سفر التكوين ١٤ : ١٥ وكان اسم أهلها الاراميون نسبة اليها لانها كانت تسمى قديما مدينة ارام وكان سكانها فضلا عن كثرة عددهم أصحاب سطوة وشوكة وثروة عظيمة وقد اسس فيها ويوكاتيانوس معمل اسلحة وسماها بعض المؤرخين قصبة المملكة وتخت الملك ثم انتقلت الى تيجلاط بليسر ملك الاشوريين فى سنة ٧٥٨ قم ثم أخذها شلمناصر فى سنة ٧٢١ قم ثم أخذها بارمينون فى سنة ٣٣٣ قم ثم أخذها بطليموس فلادلفيوس وطرد المصريين منها فى سنة ٢٦٣ قم بعد وفاة سلوقوس * وفى سنة ٥٩ قم حدثت فيها مقتلة عظيمة قتل فيها جم غفير من اليهود وسبب ذلك ان بعض أكابرهم الذين كانوا ساكنين فى قيصرية رغبوا أن يكونوا اعيان ديوان مملكة الرومانيين فلم تقبل اهالى سوريا منهم ذلك فقامت اليهود عليهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا حتى الجؤهم الى ان ولوا الادبار وطلبوا النجاة بالفرار فجدوا فى طلبهم وساروا خلفهم ولم يكترثوا بحاكم المدينة حينئذ وهو كاوديوس فليكس فاشتدت سورة غضبه عليهم واغرى بهم عساكره فضبطوهم وحرقوا بيوتهم بالنار وكان ذلك اليوم مهولا جدا ثم لما جدت المسيحيون فى تلك المدينة فى سنة ٣٥ بم وتاسست كنيستها فى زمن تاسيس كنيسة انطاكية فى ايام بولس الرسول الذى دخل فى دين المسيح بعدما فتح له حنانيا عينيه لانه بعد اقامته زمنا يسيرا فى بلاد العرب المجاورة لتلك الجهات عاد الى دمشق ليعلم ويكرز بالانجيل وصار رسولها كما ان بطرس وبرنابا كانا رسولى مدينة انطاكية

وكانت هذه المدينة تحت آل جفنة ملوك غسان ثم تغلب عليها أبو بكر الصديق الذى توفى يوم افتتاحها فى سنة ٦٣٤ بم فهزم العرب

حينئذ جيش هرقل وقتلوا اشهوبا كثيرة منهم وبعد ان طردوا جميع
المسيحيين منها لحقوهم وقتلوهم جميعا فلما بلغ هرقل ذلك صرخ
قائلا وعلى سوريا السلام ثم ترك جميع مدن سوريا الى المسلمين الذين
جعلوا تحت خلافتهم فى دمشق وهدموا الكنائس التى كانت فى أغلب
المدن الاسبع كنائس فقط قد تركوها فى دمشق للمسيحيين بشرط ان
لا يجددوها اذا تخربت فى المستقبل ولا يبنوا خلافها فى جميع
الجهات التى تحت حكم الاسلام وذلك فى ايام عمر بن الخطاب ولم يعلم
حال المسيحيين الذى كانوا تحت حكم الدولة الاسلامية فى القرن
السابع للمسيح لان مؤرخى العرب غضوا النظر عن الكلام المتعلق
بذلك ثم حكم هذه المدينة مروان الاموى ثم تبوأ ابو العباس السفاح
سرير الخلافة فيها فى سنة ٧٥٠ ب م وبعد وفاته خلفه اخوه المنصور
ابو جعفر الذى بنى مدينة بغداد ونقل اليها تخت الخلافة ثم انتقلت
تلك المدينة الى الخارماطيين فى سنة ٢٩٠ للهجرة ثم دخلت تحت
طاعة الكوردشاهيين ملك ملوك ارمينيه تحت لواء ذيبيس قائد
جيوشه ثم افتتحها ملك شاه تحت لواء سليمان ابن عمه فى سنة ٤٦٧
للهجرة ثم حاصرها لويس السابع وكونراد الثالث الصليبيان فى ايام
معين الدين الذى غشهما فى كونه اعطاهما ماتتى قطعة من النحاس
المطلى بالذهب عوضا عن المائتى قطعة ذهب التى اتفقوا عليها فطيرفك
الحصار وارتحالهما عنه ولم يطلعا على هذا الامر الا بعد انصرافهما
بزمن طويل فيهما وحسن طويتهما وبعد ذلك انتقلت تلك المدينة
الى حكم الدولة العثمانية الى الآن وهى فى غوطة حسنة مجيبة تسقى
بمياه نهر بردى العذبة التى تجرى فى دورها وجوامعها وحماماتها
وشوارعها بواسطة قناة قديمة واصلة اليها من النهر المذكور وقد فضل

العلماء والمؤرخون هذه الغوطة على الثلاث غوطات الاخر الباقية
فى الدنيا وهى شعب بوان ونهر الابلة وسغد سمرقند فأما شعب بوان فهو
بين أرجان ونوبندجان فى أرض فارس واما نهر الأبلة فهو شعبة من
الدجلة متفرعة فى أراضى البصرة والابلة واما سغد سمرقند فهو
أماكن مشحونة بالمنتزهات الزاهرة والبساتين المثمرة فى أراضى
سمرقند فى بلاد فارس

ويوجد فى مدينة دمشق بعض آسوار أخرى بين الاسواق والشوارع
باعلاها ابراج بأربعة أركان لكنها لا يوجد فيها الا القليل من صنائع
العرب واليونانيين القدماء الذين سكنوها وجوامعها وكنائسها هى
على الشكل الشرقى واسواقها طريفة يعلوها سقف ويبلغ طول بعضها
نصف فرسخ وهى ولو محجرة بحجارة غير مرتبة لانها فى نظافة
لا مزيد عليها وبها جامع يستوجب جميل الذكر نظرا للاعمدة الصوانية
التى فيه وهو كان قديما كنيسة مار يوحنا الدمشقى ينزل اليه قاصده
بعض مراقى يتصل باخرها باب كبير يدخل منه الى حوش فسيح
وصنعته اليونانية تدل على تقدم اهالى تلك المدينة فى الازمان
السالفة ولكنه لم يقدر المسيحى قبلا على المكث فيها ولم يكن بها
الا بعض الارمن والروم الذين كانوا منفردين عن المسلمين فى حارة
مخصوصة ولم يخرجوا الى الاسواق الا قيما ندر بثياب قذرة واذا
خرجوا تسبهم النساء المسلمات والاطفال يرجمونهم والرجال يضربونهم
ويسلبون ما معهم وما أشبه ذلك من الاهانة واستمروا على ذلك حتى
هذبتهم الدولة العثمانية الان البعض منهم لا يزال معتادا على سماع
الخرافات واعتقادها كما يشاهد ذلك عند رجل يقال له حسن سلالة
وأغلب أهاليها موصوفون بالوداعة وسلامة الضمير وبيوت هذه

المدينة مبنية باللبن فيجدها الانسان قذرة من الخارج الا القليل
لكنها من خرفة من داخلها بالرخام المنقوش والرصائف الفاخرة وغير
ذلك وكل منها يشتمل على أشجار زاهرة وبرك ماء باهرة في كل من
نهاتها المفروشة بأحسن الفراش بحسب ميسرة صاحبها وقلما يوجد
مثلها في المدن الاخرى ولكن قد اضمحلت ثروة وعظمة هذه المدينة
مع انها قد اشتهرت بالغلبة في الحروب والنصر والعظمة وشدة البأس
والهمة في ايام الامويين وبصنائع الحرير والاولاد وغيرها في ايام
العباسيين ثم خربت في ايام تيمورلنك الذي قتل أهاليها وسلب أموالهم
ولم ينج من يده الا معلم الصنائع النفيسة حيث نقلهم الى مدينته كما
تقدم ثم أخذت في التقدم في ايام الدولة العثمانية نظرا لحسن مركزها
بين بلاد الهند وبلاد الافرنج ولاهاليها الآن حذاقة بصناعة
الاقمشة الحريرية وصياغة الذهب

ويوجد في شمالها جبل قاسيون قيل انه اكتسى بدم أول من قتل على
وجه الارض واما أرضها فهي ولو كانت جيدة التربة الا انها ردية
الهواء لكثرة مياهها وأشجارها

ولما وصلت الى هذه المدينة تلقاني حضرة سليم أفندي الجاويش الذي
أخبره بعض الاحباء من بيروت بسفري الى دمشق ولم يسمح لي
بالذهاب الى اللوكاندة ولما دخلنا في أسواقها الشرقية الشكل مررنا
بباب البريد وهو أحد أبواب المدينة مثل باب توما وباب الجابي وباب
الله وغيرها فرأيت قبة بالسقف تجاه ذلك الباب منقوشا عليها بعض
أبيات وهي

عرج ركابك عن دمشق فانها * بلد تخيرها الاسود وتخضع
ما بين جابيها وباب بريدها * قريغيب وألف بدر يطلع

وبالقرب من باب البريد الجامع السالف ذكره المعروف بجامع الاموى
وبعد ذلك ذهبنا الى دار الصاحب المذكور وهى دار ظريفة الاتقان
وفى صحنها المرمرى بركة ماء بنافورة مشتملة على جميل الالوان كباقى
بيوت تلك المدينة وحولها بعض الاشجار التى يعبق شذا ازهارها
فى تنهات الدار وتؤرجها بطيب رياها الذكى وهذا الشاب حسن
اللقاء يستوجب ممن يعرفه جميل الثناء حقيق بمقالته فيه

نعم الفتى تنزل الضيفان ساحته * ومن أتى داره يحظى باكرام

وباثناء اقامتى هنالك حظيت بمعرفة حضرات العلامة ميخائيل
أفندى مشاقة واطلعت على مؤلفاته النفيسة وأولاده النجباء ابراهيم
أفندى الطبيب وسليم أفندى ترجمان دولة الانكليز وعزتلو شاكر بيك
رئيس المجلس البلدى وعزتلو عاصم بيك ضابط المدينة ورفعتلو خليل
أفندى غانم ترجمان الولاية وحضرة سلامون أفندى اسلامبولى
وموسى أفندى سكزان والياس أفندى شاميه ورفله أفندى أخيه
ويوسف أفندى ملوك وسليم أفندى المكى ونخله أفندى اده وغيرهم
من أهل الكمال الذين قلدونى جزيل امتنانهم

وأما منتزهات تلك المدينة فمنها جنينة الافندى الكائنة بالقرب من
باب توما وهى مكللة بمحاسن الطبيعة ويتخللها شعبتان من نهر بردى
احداهما أعلى من الاخرى ومخرج هذا النهر بالقرب من جهة تدعى
الزبدانى ثم تضاف اليه مياه عين فيجه وبعد ان يتشعب فى غوطة دمشق
كما سلف الذكر ينصب فى بحيرة المرج * ومنها جنينة المغربى وهى مثل
الاولى لكنها بعيدة عن نهر بردى بخمسين مترا تقريبا وغير ذلك من
محلات التنزه التى تذهب اليها أغلب أهالى تلك المدينة من نساء ورجال
بأدب وكمال لامزيد عليه

وتوجد ضيعة على نحو ساعة تقريبا من دمشق تدعى الصالحية بين نهر بردى وجبل عال وأهلها مسلمون فاذا صعد الانسان على ذلك الجبل يرى تلك المدينة كأنها على شكل جمل بارك على بساط سندسي ورقبته ممتدة امامه أعني انها ضيقة طويلة كرقبة الجمل من الجهة الشرقية وعريضة فسيحة كبطن الجمل من الجهة الغربية وحولها رياض تشرح صدر ناظرها ومن حسن مرآها ان الشمس اذا أشرقت على أسطحتها المزينة بانواع النباتات الزاهرة وعلى مياه نهر بردى المضيئة كالبلور وعلى كثير المنارات والقباب المحلية بالاهلة يتخيل الناظر لذلك انه في جنات من زخرفة بزمرد أخضر ودر أبيض وياقوت احمر كما قيل فيها

بلادبها الحصباء درو تربها * عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وبمدينة دمشق شارع الميدان الذي يرى من فوق ذلك الجبل طويلا كرقبة الجمل وبآخره بابان يسميان بباب الله يخرج منهما الطاج الشريف الشامي وعلى نحو مسافة منهما يوجد محل يقال له القلعة وهي دار بسيطة لا تستحق ان تذكر بشيء وامام داوين الحكومة فهي مثل الموجودة في اغلب مدن الشرق غير انها مجموعة في مكان واحد يقال له السرايه وبينما انا جالس في بنينة المغربي ليلة ان عزمت على السفر من تلك المدينة اذ حضر الى الشاب العاشق في حالة رثة فسألته عما تم بقضية معشوقته فتأوه قائلا لما بحثت عنها في مدينة بيروت بلغني انها ألهيت بعقل الرجل الذي جاءت به من القسطنطينية وتركته وهربت مع خلافه الى هنا وقد بلغني هنا انها ذهبت بعشوقها الى جهة الجبال واريد ان اجد السير في طلبها ثم ودعني وانصرف وبعد

ذلك اقمت تلك الليلة مع بعض الاحباب فى انشراح وسرور وودعتهم قبيل الفجر وانصرفت قاصدا العربة الديليجانس التى تسافر فى تلك الحصة وهى تشتمل على محلين من أسفل للجلوس أحدهما الثلاثة أشخاص وهو فى مقدمها ومدخله من يسارها ويقال له الدرجة الاولى والآخر استة أشخاص وهو فى مؤخرها ومدخله من خلفها ويقال له الدرجة الثانية وعلى سطحها محل آخر استة أشخاص يقال له الدرجة الثانية أيضا ويصعد اليه من جهة المقدم وعليه خيمة للتظلل ويجرها ستة أفراس واجرة الشخص الواحد من دمشق الى بيروت بالدرجة الاولى واحد وثلاثون فرنكا وبالدرجة الثانية اثنان وعشرون فرنكا تقريبا وعكسه كذلك فركبت فى هذه العربة وخرجت من هناك متأسفا على فراق من حظيت بمعرفتهم ولم أزل فى اضطراب بمجرد هذه الافكار حتى وصلنا محطة شتوره قبل الزوال بساعة وهذه المحطة فى نصف طريق بيروت تقريبا

(الكلام على مدينة بعلبك وطريقها)

اعلم انه يوجد لوكانده فى محطة شتوره تحت رياسة رجل يدعى اندريا وهو يتعهد للانسان الراغب فى التفرج على مدينة بعلبك بأن يجهز له الحصان اللازم لركوبته وارسال من يلزم معه بالمأكل والمشرب وله فى مدينة بعلبك دار لاستقبال الغرباء وذلك فى مقابلة اخذه من النفر الواحد ثمانين فرنكا عن يومين وليلتين فقط فقصدت تلك اللوكانده وبعد ان اخبرت صاحبها برغبتى امضيت النهار هناك متفرجا على الانهر الخارجة من بطن الجبال المجاورة لتلك الجهة ثم مررت بقلعة حربة بناها الرومان الاول وهى بالقرب من ضيعة بانياس وباثناء ذلك رايت شابا متزينا بالثياب الشرقية وهو من امراء

الجبل وقد سكن فى تلك الضيعة بقصد تبديل الهواء حينئذ وكان
رابحا فى تلك الحصة من محطة شتوره حيث يذهب اليها فى كل يوم
املا فى مشاهدة العربة التى تجرها الافراس فلم يسمح له دهره بذلك
ويعود خائب الامل لانها تكون قد ارتحلت قبل وصوله ولم يرها
فاستغربت من درجة تأخير هذا الرجل لاسيما وانه من الامراء
اصحاب الميسرة كما بلغنى

وتلك الجهات ولو كثيرة البساتين جيدة الهواء غير ان الغريب
لا يجد فيها من يأنس بصحبته بسبب عدم معرفته بطباع اهاليها ثم
على نحو ساعتين من شتوره بلدة يقال لها زحلة وهى بشكل كعكة
بيضاوية على جبل مرتفع وبيوتها انفيليا تروى الواحدة أعلى من
الاخرى بالتدريج على سفح ذلك الجبل حتى يراها الانسان جميعها وفى
وسطها واد عميق مشحون باشجار الحور وغيرها مما يسلى منظرا
وفيه محلات للتنزه على شاطئ النهر الذى ينصب فيه من اعلى الجبل
بحيث يسمع الانسان خريره من مسافة بعيدة ومع حسن مركز
هذه البلدة الطبيعى يجد الانسان اهاليها مختلفى النطق والطباع عن
اهالى مدينتى بيروت ودمشق ويتصل بهذه البلدة ضيعة تسمى المعلقة
وبين بعلبك وهذه البلدة مسافة ست ساعات واعدم وجود شئ يتظلل
به فى الطريق فالاحسن الذهاب اليها ليلا فى زمن الصيف لان الطريق
مأمون ويوجد بطريقها طاحون تعرف بطاحون الشحيمية يدير
حجارتها ماء نهر ينصب بقوة عظيمة من اعلى الى اسفل وبعض قرى
مثل ابلح وطاليه وغيرهما وسكانها انظف من سكان ارياف الديار
المصرية واما الطريق فهو فى سهل يدعى سهل البقاع وبجهتيه
الشرقية والغربية جبلان شامخان فالجبل الغربى كثير الانهر والمياه

تسقى منها الاراضى المجاورة له فى زمن الصيف واما الجبل الشرقى فلا ماء فيه ولذلك لا تزرع الاراضى المجاورة له الا فى زمن الامطار مع انه لو عملت مجارى وخلجان صغيرة فيها كى يترتب منها وصول المياه الزائدة عن لزوم الجبل الغربى اليها واصلاحها العادت فائدة ذلك على الحكومة والاهالى وقبل بعلبك يوجد محل مستدير مركب على اعمدة يبلغ قطره نحو اربعة امتار تقريبا قيل والله اعلم انه كان عليه قديما مرآة يديرها اهالى المدينة على العدو فتحرقه قبل وصوله اليهم لكنه تهدم الآن

واما مدينة بعلبك فهى هليوبوليس القديمة أى مدينة الشمس وهى بجهة الشمال الشرقية من سهل البقاع وتستحق أن تذكر فى التواريخ نظرا لوجود آثار هيكل الشمس الكائن بالقلعة المنسوب بناؤها الى سليمان بن داود وقد خضعت هذه المدينة الى ابى عبيدة واخذتها انظار ماتيون بالتوة وحرقوها وافتتحها الكودشاهيين ملك ملوك ارمينيا تحت لواء ذيسيس قائد جيوشه ثم انتقلت الى تيمورلنك فى سنة ١٤٠١ بم وحدث فيها زلزلة عظيمة فى سنة ١٧٥٩ بم فهدمت منها جانبا عظيما وهى الآن تابعة للدولة العثمانية * واما القلعة التى فيها فيدخل لها من سرداب طويل مسقف بحجارة معتودة يبلغ عرضه سبعة امتار تقريبا ويوجد فى نصفه سرداب آخر هناك فما يصل الانسان الى صحن القلعة يرى على اليمين ستة أعمدة واقفة وعلى اليسار تسعة أخرى وبجوارها حائط هيكل الشمس وبينها وبين هذا الحائط سقف من الواح حجرية منقوش عليها تماثيل بارزة وهى ولو تهدمت الا انها لم تزل معدودة من العجائب النفيسة نظرا لحجارتها وأعمدتها الهائلة ونقشها الدال على عظمة تلك المدينة فى الازمان السالفة وبالجهة

الشمالية مكان فسيح مشحون بالاقذار والاحجار وعلى يمينه مدخل هيكل الشمس وهو من أيام انطونيوس بيوس فى سنة ١٤٥ بم كما يستدل من تماثيل الآلهة المنقوشة عليه يبلغ طوله نحو الخمسة وعشرين مترا وعرضه نحو الخمسة عشر وقد وقع فيه سقفه وبداثره الداخلى اثنا عشر هيكلا فوق كل منها نافذة كانت محكمة قديما على كل من الابراج الاثنى عشر وخلفه هيكل آخر للزهرة غير انه تهدم اكثره وعلى يساره بابان أحدهما مسدود وكان معد للخروج منه الى خارج القلعة واما الآخر ففيه سلم باعلاه محل فسيح يعرف بدار السعادة وبه أربعة أماكن فى أركانه الاربع لاحدها قبة منقوشة بماء الذهب ويراها الانسان بضوء الشموع وبالثانى سفرة فى أرضيته قيل انه ذهب الى هنالك من منذ نحو العشر سنوات رجل مصور بقصد أخذ رسم تلك القلعة فحفر تلك الحفرة وأخرج منها صندوقا من حديد وأرسله الى بلاد الافرنج وبالثالث لم يكن شئ يذكر وبالرابع سلم سر مظلم وتحت هذه الاماكن طبقة مشتملة على أربعة أماكن أخرى والتحكيم ابنية تلك الجهة ترى كأنها حجر واحد لانه لم يكن فيها شئ من الخشب واذا تردد اليها الانسان فلا بد ان يرى فيها فى كل مرة شيأ جديدا لم يكن التفت اليه قبلا لكثرة ما فيها من الصنائع ولكنها اقذرة * واما المدينة فانها صارت كضيعة لا تستحق أن تذكر وعلى باب ضبطيتها تمثال امرأة واسد من حجر واحد وهما مقطوعا الرؤس لان الذى وجدهما قطع رأسيهما وباعهما بريال مجيدى ولم يعرف ان عينيهما من الزمرد مع ان الانسان لا يفرق بين ابدانهما وأبدان الحيوانات الحقيقية لحسن صناعتهما وهنالك أيضا بعض جوامع خربة بها أعمدة مأخوذة من القلعة السالف ذكرها وهى من أيام صلاح الدين الايوبى كما يستدل

من التاريخ العربى المنقوش على أبوابها
ثم حظيت هنالك بمعرفة حضرات ندرى أفندى شاميه وجبران افندى أخيه وغيرهما من أهل الكمال وذهبت معهم الى راس النبع وهو نهر فى خارج البلدة وماؤه الصافى موصوف لعلاج الامراض المختلفة وبعد زيارتى لتلك الجهات ودعت الاحبة ورجعت الى محطة شتوره وركبت فى عربة الديليجانس قاصدا المدينة بيروت فلما وصلنا الى اعلى الجبال نزل علينا الغمام واشتد البرد واستمرينا فى هذه الحالة المطرة نحو ساعتين حتى أشرفنا على مدينة بيروت ودخلنا اليها وقت الغروب بعد ان مررنا بالخاضرة والحرش وانتظرت قدوم السفينة البخارية المسكوبية المسماة البيروس وبعد ان زرت حضرة عزتلو بطرس افندى البستانى وباقى السادات والاحباء الذين تقدم ذكرهم بلغنى قدوم تلك السفينة فذهبت اليها مع جرجى افندى سرسق وخليل أفندى خياط وودعانى وعادا بسلامة وبما ان هذه السفينة لم ترحل قبل الليل من الميناء شاهدت منظر بيروت الجميل ليلا حيث كانت دورها مزينة بالانوار غير انى ندمت بعد ذلك ندما لا ينفع على ركوبى فى السفن المسكوبية لقذارتها وعدم جودة آلاتها وعدم انتظام سيرها فانها لم تصل الى مدينة يافا الا بعد ست عشرة ساعة مع ان السفن الفرنساوية تقطع هذه المسافة بأقل من اثنتى عشرة ساعة

(الكلام على مدينة يافا)

اعلم انه نظرا لاخطار ركوبنا هذه المدينة كما تقدم تبلغ اجرة القارب من السفينة الى البر من عشرة فرنكات الى عشرين والاحسن ان يشترك جماعة فى قارب واحد اذا تيسر ذلك وبهذه المدينة بعض لوكاندات مثل لوكاندة الاثنى عشر سبطا وغيرها التى ينفق الشخص الواحد فيها

نحو الخمسة عشر فرنكا في اليوم والليلة ولا يرتاح بسبب عدم استعدادها واعلم ان جميع السكة المنقوش عليها (ضرب في مصر) ليست مقبولة في جميع تلك الديار سواء كانت من ذهب او فضة او نحاس واما باقي اصناف العملة فهي مقبولة خصوصا الصنف الجيدي وهذه المدينة هي من اقدم مدن العالم لانها كانت موجودة قبل الطوفان كما يستدل من التواريخ وقد عمر نوح فيها سفينته ولما خرب الطوفان بناها يافث بن نوح وسميت باسمه ونقل اليها حيرام ملك صور الاخشاب المقطوعة من جبل لبنان التي ارسلها الى سليمان بن داود لبناء الهيكل ثم افتتحها سسقيوس وقتل سكانها وحرقها بالنار فبناها ثانيا اليهود الذين التجؤا اليها عند هروبهم من الرومانيين ثم قتل فسباسيانوس اهاليها وحولها الى قلعة غير انه لم يمض عليها ازمن حتى بنى الشعب حولها مدينة جديدة ثم حوصرت فيها الاسافقة من ايام فسطنطين الى ايام اغارات العرب في سنة ٦٣٦ ب م ثم اخذتها الصليبيون في سنة ١٠٩٩ ب م ثم حاصرها صلاح الدين فطرده ريكاردوس الملقب بقلب الاسد وحصنها وقواها ثم تغلب عليها اخو السلطان صلاح الدين وهدم حصنها فارتجعها فريدريكوس في سنة ١٢٢٩ وحصنها ثم ذهب اليها مارلويس ملك فرانسا في سنة ١٢٥٢ ب م فاكرمه حاكمها وقتئذ وانزله في قصر قيل انه كان موضوعا على الصخرة التي في ميناها ثم خربها بيبرس في سنة ١٢٦٨ ب م ولم تعد قسوس اللاتين اليها الا في سنة ١٦٥٤ ثم اخذها الفرنساويون في سنة ١٧٩٩ ثم انقلب منها جزء عظيم بزلزلة نوبة في سنة ١٨٣٨ وهي الآن تابعة للدولة العثمانية وفيها بعض قلاع مهدمة بها بعض مدافع لا تنفع الا للسلام ولها بابان من جهة الشرق يجاور احدهما بركة ماء مصنوعة ان

من الرخام الابيض فى ايام ابى نبوت الذى كان حاكما عليها فى اوائل هذا القرن واسواقها ضيقة قذرة غير منتظمة وفيها محل كان لسمعان الفراز وتحول الآن جامعا للمسلمين لكنه قذر واما اهاليها فلا يحبون الاختلاط بالغريب وابنيتها غرف عالية معقودة بالحجارة المتينة وفيها بساتين خصبة تعرف بالبيارات تروى من ماء الآبار التى تشرب منها اهالى تلك المدينة لعدم وجود الماء العذب فيها واهلها تجارة فى اغلب محاصيل البلاد ولعدم المامى بمعرفة تلك الجهات اخذت معى دليلا يقال له خليل طباع من الناس المؤتمنين الموجودين فى تلك المدينة لذلك واجرنا الافراس اللازمة الينا للذهاب الى مدينة اورشليم اى القدس الشريف واجرة الفرس الواحد من يافا الى اورشليم تبلغ من عشرة الى خمسة عشر فرنكا ومثل ذلك فى الاياب

(الكلام على مدينة اورشليم اى القدس الشريف وطريقها)

ثم تاخرجنا من مدينة يافا الى جهة الجنوب الشرقية ومررنا ببساتينها السالف ذكرها حتى وصلنا الى سهل ابى نبوت وهو على اليسار وبعد ذلك دخلنا فى سهل صارون وهو سهل واسع ذو ارض خصبة جيدة لانها تزرع عاما وتترك عاما آخر فتكتسى بالازهار الجميلة مثل السنبل خزام والشقيق النعمانى ونحو ذلك فمن يكن قاصدا لاورشليم يقطع هذا السهل من الغرب الى الجنوب الشرقى وهو يذكر الانسان بشمشوم الذى وضع شعلات النار فى ذيول الثلثمائة ثعلب فاحرقت زرع الفلسطانيين حيث سلطها عليه واعلم انه يوجد بين يافا واورشليم سبع عشرة قطابية على اليمين واليسار بناها متصرف اورشليم فى سنة ١٨٦٠ وجعل فى كل منها ثلاثة محافظين للعرس ثم يوجد فى السهل المذكور ضريح على اليسار يعلوه تسع قباب يقال له الولى على

وبالقرب منه طريق مدينة لدا القديمة التي اشتهرت بالحروب بين الافرنج والمسلمين لكنها تهدمت الآن ولم يبق منها الا بعض آثار قديمة من كنيسة سارجرجس

واما مدينة الرملة فهي في جهة الجنوب الشرقية من مدينة يافا على مسافة اربع ساعات منها وهي مرتفعة عن البحر بسبعة وسبعين مترا وهذه المدينة كانت وطنا ليوسف الرامي ونيكوديموس اللذين دفنا المسيح واختطها سليمان الاموي واستولت عليها الافرنج اعواما كثيرة فاسترجعها منهم صلاح الدين الايوبي في سنة ٥٨٣ من الهجرة ووقع في ذلك السهل بينها وبين لدا وقائع عظيمة قتل باحداها جم غفير من العساكر الصليبية الذين كانوا قد امتلكوها الى سنة ١٢٦٦ بم حتى تغلب عليها بيبرس عندما افتتح مدينة يافا وذلك منفوش على حجر موجود في جامع خرب بالقرب منها ويوجد بين يافا ولدا والرملة قرى وضياع كثيرة مثل اليهودية والصفيرية وغيرهما ويوجد ايضا بمدينة الرملة دير للافرنج قد بنوه على محل دار نيكوديموس القديمة في سنة ١٣٩٣ وهو معد للزائرين حيث يجدون فيه ما يلزم اليهم من مأكل ومشرب ومكان للنوم وهذه المدينة كانت في الازمان السالفة ذات ثروة وقصور ورياض جميلة وكان لها اثنا عشر بابا واسوار متينة لكنها تهدمت بمرور الزمان حتى صارت الآن ضيعة صغيرة قذرة

واما باب الوادي فهو على مسافة اربع ساعات في الجنوب الشرقي من الرملة وهو في آخر سهل صارون وفيه لوكاندة للغرباء ويوجد بين الرملة وبينه ضياع كثيرة مثل كفرتاب والقبيبات وغيرهما وبين اورشليم وباب الوادي مسافة سير اربع ساعات فتصير المسافة والحالة هذه من مدينة يافا الى القدس عبارة عن اثنتي عشرة ساعة وذلك غير

وقت

وقت الاستراحة فى الرملة وفى باب الوادى السالف ذكرهما وبعد هذه الجهة الاخيرة يدخل الانسان فى وادى بين جبلين مشحونين باشجار البلوط والزيتون يقال له وادى على وعند صعوده الى اعلى احد هذين الجبلين بعد مسير نصف ساعة يجد بعض قرى مثل قرية العنب وقرية بالا القديمة التى كان اسمها جبعة حيثما وضع فيها تابوت العهد فى دار ابيناداب بعدما ارجعته الفلسطانيون ومكث فيها عشرين عاما حتى نقله داود الى اورشليم فى سنة ١٠٣٣ ق م وكان فيها آثار قديمة محاها مرور الايام عليها وهى تعرف الآن بقرية أبى غوش نسبة الى ابى غوش الذى كان قاطع الطريق وقتله صاحب الهمة والعزم المتين ابراهيم باشا فى سنة ١٨٣٠ واراح الناس منه وبعد ذلك يبصر الانسان عين كارم على اليمين وقلونيه على اليسار وهما من الضياع الصغيرة وبعد النزول من ذلك الجبل توجد قنطرة مصنوعة بالحجارة على مجرى سيل يقال ان داود اخذ منها الخمسة الحجارة للمقلاع الذى قتل به جالوت (أى جلعاد) فى ذلك المكان ثم يرى الانسان جبل الزيتون بالجهة الشرقية ووادى الصليبة على اليمين وفيه كنيسة للروم يأتى ذكرها ثم يلوح دير مار ايلياس وبيت لحم بجهة الجنوب الغربية وجبال مواب الشاهقة بالجهة الشرقية ثم اورشليم

وقبل الكلام على هذه المدينة اقول انه عند الدخول اليها يجد الانسان على أرض قفراء وتلال غبراء وجبال هائلة وحجارة غائلة ولم يبق من رياض الفريسيين الشهيرة الا تلك الاتربة الكاثفة واشجار الزيتون الهرمة والحجارة الصلبة والصخور السوداء المنقطة بالبياض التى تشبه القبور المكللة بالبكاء والعويل فان نهر قدرون الذى جف والتلال المترادفة فى سيحون بالقرب من الجلجلة (أى جلجثا) تشبه

العظام المنتشرة المبعثرة على الارض من منذ قرون متعددة واما عين سلوان ووادي يهوشافاط فيشبهان دار الميت الخاوية لاسف والهم والحزن والغم وأما اهاليها الاصليون فعليهم هيئة الكساد والموت ولا يأنس الشخص هنالك الا بعض الغرباء الساكنين فيها ويصدق فيها قول من قال في مثل هذا الحال

يادار أين ملوك الارض أين الرس * أين الذين حموها بالقنا والترس
قالت تراهم رمم تحت الاراضي الدرس

سكوت بعد الفصاحة السنهم خرس

فاين عظمتها وثروتها وأين ابوابها القديمة واسوارها واين آثارها العظيمة التي كانت فيها واين اهاليها النضرة الذين يخبرنا التاريخ عنهم فسبحان الحي الذي لا يموت

واعلم انه حدث فيها في هذه الايام بعض المباني خارج سورها بالجهة الغربية مثل ماهو موجود في اغلب البلدان نظرا للامن الذي يزداد يوما فيوما فمنها المسكوبية وهي مكان فسيح وفيه الكنيسة وقونسولاتو دولة المسكوب وغرف معدة للرجال وأخرى للنساء وغيرها للاجراء المسكوبيين المترددين عليها وقشلة للمرضى ومحل للطبيب واجزاخانه للادوية وقد صار الشروع في بنائها هذه الاماكن في سنة ١٨٦٠ وانتهت بعد ذلك باربع سنوات فاما الكنيسة فهي مركبة على اربعة عشر عمودا وهي في شكل كنائس الروم الا انها مشحونة بالنقش والصنائع النفيسة وفي وسطها نجفة من النحاس المطلى بالذهب بطارة واحدة يوقدون فيها مائة وثلاثين شمعة وخارج بابها عمود مسطوح على الارض من حجر واحد يبلغ طوله اثني عشر مترا وقطره متران وهو من أيام سليمان بن داود وحظيت هنالك بمعرفة ميخائيل افندي

شيخشيري الدمشقي اصلا ترجمان الدولة المسكوبية الذي اكرمنا واطامنا على تلك الاشياء النفيسة

وبعد ذلك دخلنا المدينة من باب الخليل ويقال له أيضا باب يافا وذهبنا الى لوكاندة تعرف بلوكاندة دمشق وهي محل امنية ذات استعداد تام وينفق الانسان فيها من عشرة فرنكات الى خمسة عشر في اليوم والليلة ولهذه المدينة اربعة ابواب شهيرة فالباب الشرقي يعرف بباب ستنا مريم وهو بالقرب من الحرم الشريف ويشرف على وادي يوشافاط والغربي هو باب الخليل السالف ذكره وبجواره قلعة قديمة حولها الخليج والشمالي يدعى باب العمود والجنوبي يسمى باب النبي داود وهو بالقرب من قبر داود ويشرف على وادي ابن هينوم وكانت تلك الابواب تغلق قبل ساعة الليل وفي أيام الجمعة وقت صلاتها وقد بطلت الآن هذه العادة وصاروا يجعلون باب الخليل مفتوحا على عدد الاوقات * واسواق هذه المدينة ضيقة ومحجرة بغير انتظام وهي رفيعة عن بعضها نظرا لوجودها على جبال وبعضها مسقوف بالحجارة المعقودة وبيوتها هاوية ذات طلاقة غير انه يخشى عليها من الزلازل التي ربما تهدمها نظرا لعقد سقفها بالحجارة واما هاليها فاغلبهم فقراء ولا يتعيشون الا من احسان الزائرين المترددين اليها

واعلم ان اورشليم هي شليم القديمة ومعناها السلم أي الصلح قد بناها ملكيصادق الكاهن ملك شليم في سنة ٢٠٢٣ من تاريخ الخليقة وهي مبنية على خمسة جبال وكان لها اسوار متينة وثلاثة عشر بابا وهي عالية عن البحر بالفين وخمسمائة وستة وتسعين قدما وكسور عبارة عن سبعمائة وتسعة وسبعين مترا ثم انتقلت الى نسل اليبوسي ولد كنعان الذين بنوا حصونا عظيمة على جبل صهيون وسموها يبوس شليم عدة

رؤية الصلح لان يبوس معناها رؤية وشليم معناها السلم أى الصلح
كما تقدم ولكنها انحرفت حتى صارت اورشليم وبعد ذلك استمرت تلك
المدينة فى صلح وامان مدة خمسة قرون حتى خرج بنو اسرائيل من
العبودية فى سنة ٢٥٥٣ من تاريخ الخليقة ثم تغلب عليها يشوع
وابادسكانها وقتل واحدا وثلاثين من ملوكها ثم دخلت اليها
الاسرائيليون وسكنت فيها مع الكنعانيين غير ان الحصون استمرت فى
ايدى الاورشليميين حتى اخذها داود فى السنة الثامنة من حكمه ثم
انفصلت عشرة اسباط من رحبعام بن سليمان فلما ضعفت مملكة اورشليم
كابدت الاسرائيليون الاهوال العظيمة من اغارات المصريين
والفلسطينيين وشعوب العرب الكثيرة التى اتفقت مع الاسباط
المعاندة للاسرائيليين واستمرت على هذه الحالة مدة ثلثمائة عام ثم هدم
نبوخذنصر الهيكل فى سنة ٥٩٩ قم وذلك فى أيام صدقيا الذى هو
متمم العشرين ملكا من نسل داود وذهب بالاسارى الى بابل فاظهر
كسرى صيروس ببنائه ثانيا فى سنة ٥٣٦ وتم بناؤه فى سنة ٥٢٠ قم ثم
اخذ اسكندر الاكبر المدينة فى سنة ٣٣٣ قم وعاملها برأفة وشفقة
ثم أخذها بطليموس صوتير فى سنة ٣٠٥ واخذت أحوالها فى التقدم
فى أيام البطاليوسيين والسلوقوديين فذهب اليها انطيوخوس وشتت
شملها ثم استقلت على يد المكابيين فى سنة ١٦٠ وتولت احكامها
العمونيون ثم تغلبت الرومانيون على بلاد فلسطين وافتتحها بومبى فى
سنة ٦٣ قم ثم زخرف هيرودس الهيكل فى سنة ١٩ قبل المسيح
الذى ولد فى آخر حكمه أى فى سنة ٤٠٠٠ من تاريخ الخليقة على
حسب رأى البعض وفى سنة ٤٠٣٨ على حسب رأى الباقى الموافق
الى سنة ٧٥٤ من تاريخ روميا ثم احرقت الرومانيون الهيكل

فى سنة ٧٠ بم وهدموا المدينة فبناها ادريان بالثانى فى سنة ١٣٦ بم وسماها ايليا كابيتولينا ثم انتقلت فى سنة ٣٢٦ الى قسطنطين الاكبر ابن القديسة هيلانه التى بحثت على قبر المسيح ووجدته وزينته كما يأتى تفصيل ذلك فى محله واعاد قسطنطين للمدينة اسمها القديم ثم نهبها كورش الثانى فى سنة ٦١٤ بم بعد ان تغلب على هرقل وهدم كنيسة القبر واخذ الصليب الحقيقى الذى استرجعه هرقل منه بالثانى بعد عشرة اعوام وقد ذاق المشاق والعناء ثم حاصرها عمر بن الخطاب فى سنة ٦٣٧ وفتحها تحت لواء ابى عبيدة وسماها القدس الشريف واعطى للمسيحيين فيها الامان وبنى مسجدا فى المحل الذى رأى فيه يعقوب الرؤيا وهى انه رأى فى منامه سلما تصعد عليه اجسام نورانية وتنزل وسمى هذا المسجد بجامع عمر الى الآن ولكن عبد الملك بن مروان هدمه وبناه بعد ذلك فى سنة ٦٨ من الهجرة ثم أخذها هرون الرشيد الذى ارسل مفاتيح كنيسة القيامة أى كنيسة القبر الى شارليمان ملك فرانسا بالاحتفال العظيم فى مبادى القرن التاسع نظرا للمحبة التى كانت بينهما وجعل هذه المدينة مركزا تجاريا فذهبت اليها شعوب كثيرة من الافرنج واعتبرها المسلمون كمكة فكان الحاج الشريف يذهب اليها عرضا عن ذهابه الى الحجاز ويؤدى مناسكه فى جامع عمر واستقر على هذه الحالة مدة عشرين سنة نظرا للسبب الآتى ذكره فى اثناء الكلام على الحرم الشريف ثم تملك الصليبيون المدينة فى سنة ١٠٩٩ فاسترجعها صلاح الدين ودخلها بموكب عظيم فى سنة ١١٨٧ بم وطرد منها اذ ذاك مائة الف من المسيحيين وقتل ثلاثين ألفا وأخذ الصليب الحقيقى ثم تملكها فريدريك الثانى زمنا يسيرا ثم توطدت فيها اقدام اللاتين فى سنة ١٢٢٩ بم ثم دخلها

الخوارزميون وقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين والمسيحيين ثم كابدت المسيحيون من المسلمين الاهانة التي لا مزيد عليها غير ان هذا الامر قد أخذ في التناقص عند ما شرف تلك الديار سعادة جنمكان ابراهيم باشا نجل المرحوم محمد علي

(الكلام على كنيسة القيامة أي كنيسة القبر)

اعلم انه يوجد بداخل بابها الكبير مصطبة جالس عليها رجال امراء من اشراف المسلمين وهم الذين بيدهم مفاتيحها حسما للنزاع بين القسوس واما المذاهب التي فيها فهي اللاتين اي الفرنسيسكانيين والروم والارمن والقبط والحبش والسريان فأما كابلة اللاتين وهي المصلى فهي بالجهة الشمالية لقبر المسيح والروم بالجهة الشرقية والارمن بالجهة الجنوبية والقبط خلف القبر والجميع يوقدون قناديلا في الكنيسة وفي قبر المسيح واما على الجلجلة فلا حق في ذلك الا للروم واللاتين فقط

وبعد الدخول من الباب السالف الذكر يوجد على اليمين سلم بتسع عشرة مرقاة وغريبه سلم آخر بثماني عشرة مرقاة وكلاهما يصعد الى الكابلة التي على الجلجلة الآتي ذكرها وأما تجاه الباب فيوجد حجر الاغتسال والتطييب وهو حجر أوروشليمي يبلغ طوله مترين وسبعين سنتيمترا وعرضه متر وثلاثون سنتيمترا وارتفاعه ثلاثون سنتيمترا واركانه الاربعة مصنوعة بالنحاس المذهب وهو المحل الذي تطيب المسيح عليه على شريعة موسى عند ما أنزله يوسف الرامي ونيكوديموس من على الصليب ثم على مسافة اثني عشر مترا بالجهة الغربية للحجر المذكور وبالقرب من كابلة الارمن يوجد علامة للمحل الذي كانت فيه المريمات عند كان يوسف الرامي ونيكوديموس يطيبان المسيح

وبعد مسافة اثنى عشر مترا أخرى من هذه الجهة يوجد قبر المسيح وهو فى شكل ضريح مربع الاركان من بناء فى وسط الكنيسة وباعلاه قبة كبيرة طريفة مصنوعة على طرف الثلاثة دول وهم الدولة الفرنساوية والدولة العثمانية والدولة المسكوبية وعلى بابه اثنا عشر شمعدانا أربعة للاتين وأربعة للروم وأربعة للارمن والقبر مركب من مكانين أحدهما كان دهليزا والآخر كان فيه حجر بشكل حوض محفوف وباعلاه قبو مثل قبور اليهود الموجودة الى الآن فى فلسطين فلما جهزت القديسة هيلانة زينة القبر فصلته عن الجلجلة وهدمت الدهليز لتمهيد الارض فوا أسفاه على هذا الامر الذى يزيد منه تشكك الانسان بخصوص القبر الحقيقى الذى كان فى شكل قبر زكريا بن براشيا الموجود الى الآن فى وادى يهوشافاط خارج المدينة ولكنه كان أتحف منه صناعة كما يستدل على ذلك من التاريخ ثم صار ثقبه باعلاه لتصريف الدخان المتصاعد من الانوار فعوضت الصليبيون ذلك الدهليز بمكان صغير بثلاثة أبواب فى الشرق والشمال والجنوب وكان بارضيته الحجر الذى دحرجه الملاك من على باب القبر عند ما قام المسيح من الموت ثم تحول هذا الدهليز الى أشكال أخرى حتى بناه رئيس الدير بونيفاس دوراجوز فى سنة ١٥٥٥ ولما تهدم فى سنة ١٨٠٨ بناه الروم وأعادوه كما كان ما عدا الرصائف التى كانت مفقوشة عليه وهو باق على هذه الحالة الى الآن وبوسطه قاعدة عموده موضوع عليها جزء من الحجر الذى دحرجه الملاك كما تقدم وفى اليمين واليسار طاقتان صغيرتان مدورتان يبلغ قطر كل منهما عشرين سنتيمترا يخرج منهما النور المعتاد خروجه فى كل سنة وبه خمسة عشر قنديلا مضيئة على الدوام منها خمسة للاتين وخمسة للروم واربعة للارمن

وواحد للقبط وأما القبر الكائن فى المكان الثانى فانه يدخل اليه من باب صغير فى الجهة الغربية من الدهليز السالف ذكره المعروف الآن بمكان الملك وقيل ان جوانب القبر المصنوع على شكل مسطبة هى من الصخر الطبيعى غير انها مكسوة بالرخام الابيض وعليه ثلاثة وأربعون قنديلا مشتعلة على الدوام ثلاثة عشر للاتين وثلاثة عشر للروم وثلاثة عشر للارمن وأربعة للقبط وعلى الحائط رسم قيامة المسيح من الموت وطول هذا المكان متران وعرضه كذلك

واما جهة القبر الشرقية فيوجد فيها كابلة الروم وهى مزخرفة ومزينة بأحسن زينة وبها تمثال نصف الكرة الارضية موضوع فى وعاء من رخام ارتفاعه نحو نصف متر ولذلك يقال لها كنيسة نصف الدنيا وبالجهة الغربية للقبر كابلة القبط طولها متران وعرضها كذلك وتجاهها غربا كابلة السريان وبالقرب منها قبور صغيرة وهى للبش قيل والله اعلم انه مدفون فى أحدها يوسف الرامى وبالجهة الشمالية للقبر على مسافة اثنى عشر مترا منه يوجد هيكل مريم المجدلية التى ظهر لها يسوع فيه بهيئة جنايني وهو للاتين وعلى شماله كابلة للاتين أيضا على المحل الذى ظهر يسوع فيه الى والدته عند قيامه من الموت لانها مكثت هناك المدة التى مكث فيها ولدها فى القبر ولم يمكنها التقرب اليه خوفا من الحراس التى كانت عليه ويصعد الى هذه الكابلة باربع مراق ويوجد فيها ثلاثة هياكل فبالهيكل الايمن جزء من عمود الجلد وهو فى ايدى اللاتين من القرن الثالث عشر ولما كسره المسلمون فى سنة ١٠٠٠ أرسل الرئيس بونيفاس السالف الذكر جزأ منه الى البابا بولس الرابع وجزأ آخر الى فيليبس الثانى ملك اسبانيا وجزأ ثالثا الى جمهورية فينيسيا وهو موجود فيها الآن

فى كنيسة مارمار كو وجعل الجزء الاكبر فى هذا الهيكل خلف حاجز من حديد يفتحونه مرة واحدة فى كل سنة فى صبيحة يوم الاربع من الجمعة الحزينة ليتبرك الشعب به وطوله خمس وستون سنتيمترا واما محل الترتيل فهو على يسار تلك الكابلة من الخارج ويوجد فيه مهماز غود افروا مدوبوبون الصليبى وسيفه اللذان أرسلهما مطران الناصرة الى كنيسة القيامة فى القرن الثالث عشر وبالدهليز الشمالى الشرقى كابلة صغيرة مظلمة على المحل الذى كان المسيح مسجونا فيه مع اللصين عندما أريد تجهيز صلبهم وهى تشتمل على الثلاث محلات التى كانوا فيها وعلى يمينها امكان باسفله ثقبان كانت قدما المسيح موضوعتين فيهما وفى هذه المحلات قناديل مضيئة من طرف الروم وعلى نحو اثنى عشر مترا بجهة الجنوب الغربى لهذا المحل كابلة للروم أيضا وهى علم اسم مارلونجوين الذى طعن المسيح بحربة فى جنبه وندم بعد ذلك على ما فعل وأقر بمعرفته وذهب الى ذلك المحل باكيا وطلب من الله مغفرة هذه الخطيئة ثم بعد مسافة مترين من تلك الجهة يوجد الباب القديم الذى كانت تدخل الرهبان منه وقد اغلق بامر صلاح الدين بعد طرد الصليبيين وبعد مسافة مترين أيضا كابلة للارمن على المكان الذى اقترعوا ثياب المسيح فيه وبعد مسافة مترين آخرين سلم بتسع وعشرين مرقاة ينزل منه الى كابلة القديسة هيلانه وهى للحبش لكنهم أعطوها للارمن فى مقابلة الخبز والمرق المرتبين لهم من طرف الارمن الى الآن وكانت أرضية هذه الكابلة متصلة بارضية الكنيسة الكبيرة القديمة التى بناها قسطنطين وفصلها عنها مودستوس الصليبى فى القرن السابع بعد ان زينها باحسن زينة وفى جنوبها الشرقى شمالا كانت القديسة هيلانه تطلع منه على المحل

الذى وجدت الصليب فيه فى اثناء البحث عليه وهذا المحل ينزل اليه بثلاث عشرة مرقاة لانه لما هدمت الهيا كل الوثنية فى سنة ٣٢٦ ب م وسلمت الجلجلة والقبر الى المسيحيين سألت من علماء ذلك العصر عن المكان الذى توجد فيه الاشياء التى استعملت لايلام المسيح ودفنت بالضرورة فى مكان على حسب شريعة اليهود فدلوها على تلك الجهة التى كانت بئرا متروكة على مسافة اثنين وأربعين مترا بجهة الشمال الشرقية من محل الصليب فحفرتها حتى أخرجت منها تلك الآلات والثلاثة صلبان وجربتها فى أشياء كثيرة يضيق الوقت عنها لمعرفة صليب المسيح وفصلته عن الصليبين الآخرين وذلك الموضع هو فى الحقيقة بئر منقورة فى صخر الجلجلة مثل باقى الآبار المنقورة فى تلك المدينة التى تختزن فيها امياه الامطار فتشرب منها سكانها فى زمن الصيف وأغرب من ذلك ان حائط هذا المكان مكلل بالعرق على الدوام فى كل آن فسبحان القادر على كل شئ

وعلى يسار كابلة القديسة هيلانه كابلة أخرى للروم بها جزء عمود صوان أزرق وجدوه فى دار بيلاطس يقال ان المسيح جلس عليه عند ما البسوه اكليل الشوك وعلى مسافة سبعة عشر مترا غربا تلك الجهة يوجد السلم ذو الثمانى عشرة مرقاة السالف ذكره الذى يصعد منه الى الجلجلة وحيثما يصل الانسان الى فوق يجد على نحو أربعة أمتار شرقا للسلم وجنوبا للجلجلة هيكلا على محل تسمير المسيح على الصليب وهيكلين آخرين بالقرب له فالهيكل الشمالى للروم ويوجد تحته نقرة فى الصخر قيل كان الصليب مغروسا فيها حين كان المسيح عليه ووسعتها الروم فى سنة ١٨٠٨ ثم ردموها بحجارة وفى يمين ويسار هذا الهيكل جران اسودان مستديران علامة لمكان صليبى اللصين

واما الهيكل الثالث الكائن بين الهيكلين السالف ذكرهما فهو على اسم مريم ام المسيح وبين هذا الهيكل وهيكل الصلب يوجد الشق الذى انفتح فى الصخر عند ما سلم المسيح السر الالهى كما قيل وبالحائط الجنوبى شباك يشرف على كابلة مريم الحزينة التى على المحل الذى كانت مريم واقفة فيه مع يوحنا فى اثناء تسمير ولدها على الصليب ويوجد تحت هذه الكابلة كابلة أخرى للارمن على اسم مريم الخاطئة المصرية التى رغبت فى الدخول الى كابلة الجلجثة فى بعض الايام فمنعتها يد خفية فعرفت خطيئتها وندمت عليها حتى أمكنها الدخول فيها وتابت بعد ذلك وقضت نحو الثلاثين سنة فى نواحى نهر الاردن بالعبادة والتقوى ومائت فى القرن الخامس للمسيح

وبالجهة الغربية من تلك الكابلة يوجد باب يدخل منه الى كابلة آدم كان فيها على اليمين قبر غودافرواه دوبوبون وعلى اليسار قبر بودوين واستعوض الروم هذين القبرين بالمسطبتين الموجودتين الآن وبهذه الكابلة نقرة يقال ان جمجمة آدم كانت فيها والمظنون ان ملشيصادق دفن فيها ثم يوجد على نحو أربعة أمتار من حجر التطييب شمالا قبور بعض الملوك الصليبية والمسلمون يحترمونها كثيرا وخلف باب كنيسة القيامة حجر على سطح الارض يظهر من الكتابة التى عليه ان فيلبس دوبيني مدفون تحته ويوجد بالجهة الجنوبية كابلة ماريوحنا ومريم المجدلية وكابلة الاربعين شهيدا التى كانت تعرف فى ايام الصليبيين بكابلة الثالوث القدوس وبالجهة الجنوبية لهذا المكان كابلة مار يعقوب ثم يوجد بجهة الشمال الجنوبى من ساحة القبر كابلة مار ميخايل وهى للقبط وعلى نحو سبعة أمتار منها كابلة ماريوحنا للارمن وفيها حجر يزعمون انه من

عمود الجلد ثم يوجد باب على مسافة تسعة أمتار جنوبا من تلك الجهة يدخل منه الى كنيسة ابراهيم الخليل وهى للروم وفيها كابلة الاشف عشر رسولا وكابلة أخرى صغيرة يزعمون ان ابراهيم قدم هنالك ولده اسحق للذبحة واما واجهة كنيسة القيامة فهى من صنيع الصليبيين كما يدل لذلك بعض بواقى الاعمدة الموجودة فى الجهة الجنوبية للباب التى هى من زمن قسطنطين ابن القديسة هيلانه وهذا القبر المتقدم لا يصح أن يكون هو المراد فى عبارة الانجيل التى مضمونها أن المسيح دفن فى قبر جديد خارج المدينة لاسيما وان المؤرخ كزيلوس فنديك قال ان الله أراد أن يخفى قبر المسيح عن المسيحيين كما أخفى قبر موسى عن اليهود (لا يقال) ان هذا القبر هو المراد من عبارة الانجيل واثما بمرور الزمان كبرت تلك المدينة حتى صار بعدما كان خارجا عنها داخلا فيها (لانا نقول) ان تلك المدينة صغرت كثيرا عن حالتها الاولى خصوصا انها محتاط بها أودية عظيمة الا من شمالها وما يليه الى الغرب

(الكلام على بعض آثار قديمة باورشليم وما حولها)

اعلم انه يوجد بالقرب من كنيسة القيامة محل متسع يقال له قشلة مار يوحنا بناه شارليمان للزائرين فى سنة ٨٠٩ وهدمه الحاكم الفاطمى فى سنة ١٠١٠ وأخذه فى هذه الايام رجل بروسيانى وشرع فى تنظيفه فوجد فيه طابقا تحت الارض فسيحا جدا ووجد فيه أيضا بعض ذهب وفضة واما مغارة ميلاد العذرى فيدخل اليها بمقتضى رخصة من قنصل الدولة الفرنساوية وهى بداخل كنيسة قديمة من ايام الصليبيين التى كان صلاح الدين جعلها مكتبا للصبيان فى سنة ٥٨٨ للهجرة كما يستدل من التاريخ العربى المنقوش على

بابها وتغيرت مرات عديدة من كنيسة الى جامع وعكسه الى ان صارت الآن فى أيدى الفرنساويين لان السلطان عبد المجيد أعطاها لهم بعد حرب القرم فنظفوها من القذارة التى كانت بها

واما حصن المدينة فيقال له برج داود لانه فوق المحل الذى كان فيه قصره وبه أربعة أبراج وعلى مسافة مائة متر منه يوجد محل أوريا الذى كان متزوجا ببثشبع ام سليمان قبل ان يتزوج بها داود وبالقرب من تلك الجهة كنيسة للبروتستانتيين على اليسار مبنية غالبا على محل قصر هيرودس الاكبر الذى قتل الاطفال

وبداخل المدينة كنيسة للارمن تعرف بدير مار يعقوب يقال انها مبنية على المحل الذى قطع رأسه هيرودس فيه بعد رجوعه من الانداس وهى محكمة البناء مزخرفة بانواع الزينة وبها كابلة بالجهة الغربية على محل قبر مار يعقوب وكابلة أخرى على قبر مكاريوس مطران اورشليم والذى يترجح عندى ان الاندلسيين كانوا بنوها اكراما لمار يعقوب حيث ذهب اليهم وتسبب فى دخولهم فى الديانة المسيحية ويوجد بين النبى داود وهذه الكنيسة جملة آثار قديمة مثل محل صياح الديك ثلاث مرات منذ انكر بطرس معرفة المسيح والمحل الذى اوقفت اليهود فيه جنازة مريم العذرى وغير ذلك مما لا يسعنا ذكره لانها مع وجودها على قارعة الطريق لا يوجد فيها شئ يستحق الايضاح

واما باب ستنا مريم فانه عند ما يخرج الانسان منه يجد بجواره بركة مريم ويرى بالجهة الشرقية جبل الصعود الآتى ذكره وقصورا كثيرة مبنية عليه وبالجهة الغربية وادى يهوشافاط يقال والله أعلم انه موضع المحشر وعرضه مائة متر وطوله ثلاثة آلاف متر واقوله بجوار

قبور القضاة ثم يتضايق شيأ فشيأ حتى يصل الى بستان الجسمانية
وآخره متصل بوادى سنون المعروف بوادى النار وبالقرب من تلك
الجهة مقابر اليهود والمسلمين وهناك مغارة يقال لها قبر مريم لا تفتح
الا فى الصباح فقط وتغلق بعد ذلك وهى ذات باب صغير ينزل لها بسلم
مستقيم يشتمل على ثمان واربعين مرقاة وبعد الاحدى وعشرين
مرقاة الاولى كابلتان احداهما على اليمين وهى على قبور مار يواكيم
والقديسة أنا والاخرى على اليسار وهى على قبر مار يوسف وبآخر
السلم شرقا قبر مريم العذرى وقد اعتنى قسطنطين وهيلانه بتلك
المغارة حيث صنعا فيها كنيسة وبغربيها هيكل للقبط وبارضيتها بئر
يتعجب الانسان من وجودها فى هذا المكان العميق ووصول الماء
اليها وقسوس الارمن الواضعون ايديهم على تلك الجهة لا يمكنون
احدا من الاطلاع على ما تشتمل عليه الا بعد ان يجعل لهم جعلا على
ذلك بل ويأذنونه مقدما ويوجد بجوار تلك المغارة مغارة أخرى
ينزل لها بسلم يشتمل على ست مراق وهى طبيعية ذات ثلاثة هياكل
وبسقفها ثقب ونجوم منقوشة وبعض حروف هجائية قد غيرها مرور
الايام عليها وأرضيتها منقوشة بالرصائف من أيام الصليبيين ثم يوجد
بالقرب من هذه المغارة جنوبا بستان الجسمانية أى بستان الزيتون
وفيه ثمان أشجار زيتون من أيام المسيح كان يتظلل تحتها فى وقت
صلاته وفيه أيضا بعض النباتات الزاهرة وبداخله هياكل
تشتمل على تماثيل بارزة تذكار الايلام المسيح وهو للاتين وبجوار
بابه بعض آثار يقال انها من أيام المسيح

واما جبل الزيتون المعروف بجبل الطور ويجبل الصعود المتقدم
الذكر هو شرقى أورشليم وهو مرتفع عن سطح البحر بثمانمائة متر

وله ثلاث طرق للصعود عليه بها بعض آثار قديمة مثل المكان الذى بكى يسوع فيه على تلك المدينة الخائنة والصخر الابيض الذى كان يوما واقفا عليه عندما كان قاصدا زيارة قبر العذرى فرآها صاعدة الى السماء وقد رمته بنارها ثم يوجد على الجبل منارة الزيتون وبجوارها دار فسيحة بداثرها الداخلى هياكل للمذاهب المسيحية المتنوعة وفيها بناء على المحل الذى صعد يسوع منه الى السماء بحضور مائة وعشرين نفسا من جملتهم والدته وتلامذته ولم يزل فيه أثر قدميه الايسر فى الصخر بالجهة اليمنى وكان فى تلك الجهة كنيسة عظيمة من أيام القديسة هيلانه الى أيام شارليمان كما يستدل من التاريخ وتهدمت حتى لم يبق لها أثر ثم بنى رجل من المسلمين ذلك البناء الموجود الآن فى القرن الثالث عشر والمسيحيون يحتفلون بذلك المحل يوم عيد الصعود احتفالا عظيما واما المنارة التى فى تلك الجهة فمن يصعد عليها يستكشف وادى يهوشافاط وجميع مدينة اورشليم والمسكوبية والنبى صمويل بجهة الغرب وبيت لحم ودير مار ايليا من جهة الجنوب الغربى وجبل هيرودديوم بجهة الجنوب وصحراء اليهودية والبحر الميت أى بحيرة لوط ونهر الاردن أى نهر الشريعة وجبال مواب وغيرها بجهة الشرق وارض جلعاد بجهة الشمال الشرقى ولكنه يخفى على أصحاب الصفوا من صعودهم على تلك المنارة العالية ويوجد بالقرب منها بعض قصور متقنة البناء

وبجهة الجنوب الشرقى من هذا المكان قبور القضاة منقورة فى بطن الجبل ينزل لها من فتحة مستديرة يعلاها وتشتمل على ستة وثلاثين قبرا مدفون فيها اناثان وعاذاريا وايليا وحزقيال ودانيال وزكريا وغيرهم وشرقا لباب الذهب الكائن بجوار وادى يهوشافاط قبرا ابشالوم بن

داود وزكريا بن براشيا وهما مصنوعان على شكل ضريح مربع من أسفل واهرام من أعلى بحجارة قديمة تستحق الذكر ويوجد على نحو مائتين وستين مترا جنوبا من تلك الجهة قرية سلوان وهى قرية صغيرة قذرة وعلى مسافة مائة متر منها بركة سلوان أى عين سلوان وهى بركة يصل اليها ماء مخلفات الامطار من بطن احدى الجبال المؤسسة عليها تلك المدينة وبالقرب منها بئر تسمى بئر أيوب يقال ان عمقها تسعة وعشرون مترا

واما محل بكاء اليهود المعروف بمحل نوح الجدود فهو فى حارة المغاربة خلف الحائط الغربى للحرم ويبلغ طوله ثلاثين مترا وعرضه أربعة أمتار وقد استأجره اليهود لهذا الامر ويجتمعون فيه فى أيام الجمعة فالرجال يكون كل منهم لابسا قفطانا وبرنيطة سوداء على رأسه وذؤابتاه مسدولتان على صدغيه والنساء متلفعات بشيلان ويصرفون ذلك اليوم فى القراءة والنوح والبكاء ويطلبون من الله ارجاع الملك اليهم وهاهى ترجمة القراءة التى يتلوها كل من الخاخام والشعب باللغة العبرية

يقول الخاخام * فيجيبه الشعب قائلا

انه نظر البيت الذى خرب * نحن جالسون نبكى بوحدتنا

انه نظر الهيكل الذى هدم * شرحه

انه نظر الحائط الذى تهدم * شرحه

انه نظر العظمتا التى زالت * شرحه

انه نظر الاعيان رجالنا التى هلكت * شرحه

انه نظر الحجارة الثمينة التى أحرقت * شرحه

انه نظر الكهنتا التى عثرت * شرحه

انه نظر الملوكا لذين ذلوا وأهينوا * شرحه

صلاة أخرى

يقول الخاخام * فيجيبه الشعب قائلا

نسألك بأن تتراف على صهيون * اجمع يارب أولاد اورشليم

اسرع اسرع يامخلص صهيون * واسمع بالخيرات لاورشليم

عسى يحتاط المجد والعظمة بصهيون * وتراف يارب على أورشليم

عسى يعود الملك قريبا الى صهيون * سل يارب من يبكى على أورشليم

عسى تحل السعادة بصهيون * وارفع يارب قضيب الملك فى أورشليم

واما قبور السلاطين فهى على مسافة سبعمائة متر تقريبا بالجهة الشمالية للمدينة يدخل لها من فتحة صغيرة يبلغ طولها تسعين سنتيمترا يتوصل منها بواسطة ضوء الشموع الى مكان مظلم فيه عدة دهاليز وسبعة وعشرون حجلا من مقابر ومكاتب منقورة فى الصخر نقرا مضبوطا ظريفا ومتقنا نفيسا وتوجد مغارة تحت مدينة أورشليم اتساعها بقدر اتساع المدينة يذهب اليها الانسان برخصة من الحاكم الواضع يده عليها مع دليل وبعض حرس لانه كان قد دخلها اقديما بعض السائحين للتفرج عليها ولم يخرج الى الآن ولم يعلم ما حل به الا الله وهى على مسافة خمسين مترا من يسار باب العمود ولها باب صغير من حديد يدخل منه بواسطة ضوء الشموع الى محل مظلم مرتفع السقف وعند ذلك يتخيل الانسان الذى فيه انه فى ليل مظلم تحت سماء مكتس بالغيم والسحاب وتشتمل هذه المغارة على محلات كثيرة متنوعة وأعمدة حجرية ملتصقة بالسقف ولم تصل الى الارض فتظنها الناس قريبة السقوط والهبوط لكنها على هذه الحالة من منذ قرون متعددة وفى هذه المغارة أيضا آبار متسعة عميقة مخيفة ومياه

واكدة وتجارة متنوعة وأقول بالاختصار انها تشتمل على صنائع طبيعية نفيسة يعجز اللسان والقلم عن وصف حالتها

(الكلام على الحرم الشريف)

اعلم ان دخول المسيحيين فى الحرم كان ممنوعا قبلا وكان جزاء من يدخله منهم القتل ولم يؤذن اليهم بدخوله الا بعد حرب الشرق الاخير فدخله الزائر منهم بمقتضى رخصة من الحاكم الا فى أيام الجمعة وأيام شهر رمضان وهذا المكان على جبل موريا أحد الجبال الخمسة المتقدم ذكرها وقد قدم ابراهيم ولده اسحق عليه للذبح فى سنة ١٨٢٢ قم وكان بيدر الارنان اليبوسى الذى اشتراه داود منه بستمائة شاقل من الذهب وقرب فيه القربان الذى نزلت عليه نار من السماء فاحرقته علامة على قبوله عند الله وبنى سليمان الهيكل فيه فى سنة ١٠١٢ قم وتم بعد سبع سنوات فوضع فيه تابوت العهد ثم هدمه نبوخذنصر فى سنة ٥٩٩ قم فأمر كسرى سيروس ببنائه فى سنة ٥٣٦ وتم بناؤه فى السنة العاشرة من حكم داريوس فى سنة ٥٢٠ قم ثم ذهب اليه اسكندر الاكبر فى سنة ٣٣٢ قم وقرب فيه قربانا لله ثم ذهب اليه ايلودوروس رسول سلوقوس ملك سوريا بقصد سلب الاموال والاشياء الثمينة التى كانت فيه فاحس بضربة يد خفية فوقع على الارض مصروعا ولم ينتبه لنفسه حتى أسعفه الكاهن الاكبر بصلواته ثم نهبه انطيوخوس بعد مقتله عظيمة ووضع فيه تمثال جوبيتير كبير آلهة الاصنام فطهره يهوذا المكابى بعد ذلك بسنتين وأعاده كما كان قبلا ثم دخله بومبى بعد ان تغلب على أورشليم فى سنة ٦٣ قم ولم يغير فيه شيأ ثم زاده هيرودس الاكبر اتحافا واتقانا فى سنة ١٧ قم ويقال ان الملاك بشر زكريا فى هذا المكان بميلاد المبشر بالمسيح

وأمضت مريم العذرى طفوليتها فيه ورأى سمعان الشيخ المسيح فيه كما طلب من الله ثم هدمه تيطس فى سنة ٧٠ ب م ثم صنع ادريان فيه هيكلا الى جوبيتير فطلبت اليهود منه الذهاب الى خرابة هيكلهم مرة واحدة فى السنة ليبوحوا عليها وبعلوا له جعلا على ذلك حتى سمح لهم به وبقى على هذه الحالة حتى هدمته القديسة هيلانه فى سنة ٣٢٦ ثم لما ترك يوليانوس دينه الحقيقى حبا فى عبادة الاوثان فى سنة ٣٦١ ذهب الى هنالك وشرع فى صنع صنم فى مكان الهيكل القديم فخرجت نار من الارض وقتلت رجاله فهجروه زمنا طويلا وصارت المسيحيون تضع فيه الاقذار الى ان شرع عمر بن الخطاب فى البحث على الحجر الذى كان تحت رأس يعقوب عند ما نظر رؤيا السلم المتقدم ذكرها فدلوه على هذا المكان لاغراض قائمة بانفسهم وكان المتعين عليهم ان يدلوه على بيت ايل حيث كانت الرؤيا فيه فامر بتنظيف ذلك المحل حتى ظهرت له الصخرة المقدسة الآتى ذكرها وبنى حولها الجامع المشهور بجامع عمر وقد هدمه عبد الملك بن مروان بعد ثمانين سنة وبنى خلافه وأنفق عليه ما ينوف عن المليون من الفرنكات ليكسوه من الخارج بالنحاس المذهب طمعا فى جذب الحاج الشريف اليه عوضا عن ذهابه الى مكة التى كانت تحت حكم ابن الزبير اكبر اعدائه ثم صارت الخلفاء بعد ذلك تزيده اتحافا الى ان هدمته زلزلة قوية فى القرن الثامن للمسيح فبناه بعدها أحد الخلفاء حينئذ لكنه لم يبلغ درجة الاتقان القديمة ثم غيرته الصليبيون الى كنيسة فى سنة ١٠٩٩ ب م فاسترجعته المسلمون فى سنة ١١٨٧ ب م واستمر تحت يدهم الى الآن وهو مكان فسيح يبلغ طوله نحو الخمسمائة متر وعرضه ثلثمائة متر ولم يزل بارضه بعض اشجار زيتون قديمة

وحينما يدخله الانسان يرى على اليمين صخرا بارزا يشتمل على الحجر الذى كان تحت رأس يعقوب ثم يصل الى بركة ماء جافة يجتنبها لم يبت مراق ينتهى اعلاه بسطح جميل كان المسيح جالس فيه وهو فى سن الاثنى عشرة سنة ليجادل العلماء وكنيسة الشريعة وشرقى جامع عمر منبر يقال له محكمة داود وقبة السلسلة

وأما جامع عمر الذى يشتمل على الصخرة المقدسة فهو مستدير ذو ثمانية أركان مكسوة بالمرمر وغيره من الاشياء النفيسة وسقفه وحائطه منقوشان بماء الذهب الفاخر ويبلغ اتساع قطره عشرين مترا وباعلاه قبة من نحاس يعلوها هلال عظيم وله اربعة أبواب الباب الشمالى يقال له باب الجنة والجنوبى باب القبلة والغربى باب الغرب والشرقى باب داود ويقال له باب السلسلة ايضا وبوسطه بناء يشبه الضريح على شكل الدائر الخارجى مركب على ثمانية اكتاف حجرية وستة عشر عمودا من المرمر وبداخله بناء آخر على شكله مركب على أربعة اكتاف حجرية واثنى عشر عمودا وبدائره زنجير من حديد ومنه يرى سطح الصخرة المقدسة لانه لم يكن عليه ما يستره

وهذه الصخرة غير متساوية الاطراف وبها ثقب مستدير معقول من جهتى الشمال والغرب وطولها من الجهة الغربية يبلغ احدى عشر مترا وباعلاها خيمة من الحرير الاخضر مرتفعة عنها بنحو مترين تقريبا قيل ان سبب وضعها كذلك هو تذكير المؤمنين بالخيمة التى اعطاها الله آدم عند ما وجد حواء بالقرب من مكة بعد ان بحث عنها مائة عام وجميع اهل الكتاب يحترمون هذه الصخرة بسبب انها كانت فى البيدر الذى اشتراه داود من ارنان اليبوسى وتبارك بنار السماء

التى أحرقت قربانه وقد أقام سليمان ولده الهيكل حولها ووضع تابوت
العهد عليها وغير ذلك من الفضائل ويوجد جهة الشمال الشرقية
درقة حمزة عم الرسول وبالجنوب الغربى وعاء من حديد بداخله لوح
من رخام فيه أثر قدم الرسول وبالجهة الجنوبية بيرقه أيضا وهو
ملتف على مزراق وسنجق عمر ورسم سرج البراق وتجاه باب الجنة
بأرضية أول دائرة لوح من حجر الصب مغروس فيه ثلاثة مسامير
وجزء من الذهب يقال انها كانت قديما تسعة عشر مسمارا وفنيت
عز الدهور وبقام فسائها تنقضى الدنيا وبالجنوب الشرقى سلم
بخمس عشرة مرقاة يتوصل به الى ما تحت الصخرة من البناء الذى
أحدث بدائرها من أسفل منها لتخوف الناس من المكث تحتها
وطرفها الذى يلى باب المدخل تسميه العامة لسان الصخرة لانه رد
السلام على عمر بن الخطاب كرامة له ويوجد تحتها خمسة محاريب
منسوبة لخمسة من الانبياء وهم ابراهيم الخليل وداود وسليمان
والخضر ايليا والرسول وأرضية هذا المحل مفروشة بالمرمر وفيها
جب يدعى جب الارواح وعلى بابه لوح مستدير من المرمر أيضا
يقال ان أرواح المؤمنين تجتمع فيه ليلتى الاثنين والجمعة لتسبح الله
يسمع دويها كل من قرع على فم ذلك الجب وبينما أنا فى ذلك المحل
اذ لقيت رجلا من الاوروبيين زائرا وقال ان أصل ذلك المكان كان
بئرا فى بيدر ارنان اليبوسى المار ذكره لتستقى منها رجاله والثقب
الذى بالصخرة هو فم تلك البئر الذى كان يستخرج منه الماء لان تلك
الجهات لا يخلو كل بيدر فيها عن بئر بالاقل لتخزين مياه الامطار
فيها أيام الشتاء ليستقى منها فى زمن الصيف بسبب عدم وجود نهر
فى تلك الجهة ثم انه تهدم من تلك البئر ثلاثة أركان مما حصل فى هيكل

سليمان من احراق وهدم وغير ذلك في الازمان السالفة وبقي سطحها متصلا ومعلقا بالركن الرابع الذي هو جبل موريا المنقور فيه تلك البئر وقد توارى الآن خلف الحائط المبني تجاهه والله اعلم بالحقيقة ويوجد بأعلى الباب الجنوبي مصحف عمر بن الخطاب وعلى يسار باب الجنة خارجا مقربان عليهما قبتان مركبتان على أعمدة من المرمر الابيض فالصغيرة تدعى قبة السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول والاخرى تدعى قبة المعراج ويوجد تجاه باب الجامع الجنوبي باب كبير بأربع فرج عليه صورة ميزان اليوم الآخر وبغربيه منبر من رخام يخطب عليه في أيام الجمعة في شهر رمضان وتحت الميزان سلم باحدى وعشرين مرقاة يتوصل به الى بركة ماء مدورة جافة يقال انه كان يأتي اليها الماء من برك سليمان الآتي ذكرها وهي مظللة بشجر ق سرو وزيتون قديمتين ثم بعد مسافة نحو ثلاثين مترا منها يوجد سلم بثمان عشرة مرقاة يتوصل به الى مر اب طويل قليل العرض عليه قبوتان مركبتان على اكتاف بجريانه من الشمال الى الجنوب وبالقرب من آخره سلم آخر بثمان مراق يتوصل به الى عمود ضخم من حجر منقوش الاطراف وينتهي هذا المحل بباب مسدود بين بالجارة كان يدخل منهما قديما الى هيكل سليمان وباعلاه الجامع الاقصى الذي كان قبلا كنيسة المذكر وحوله عمر بن الخطاب جامعا للمسلمين ثم ان الخليفة العاشر عبد الملك بن مروان كسا أبوابه بالذهب والفضة في أواخر القرن السابع للمسيح ولكنه تهدم بعد ذلك جزء من جهته الشرقية في زمن خلافته وخلافة ابنه الوليد فلم يجدا ما ينفقانه عليه لبنائها فهدماها كان باقيا من الجهة الشرقية المذكورة ثم رممت الجهة الغربية بعد ذلك بأربعين

سنة من الزلزلة التي حدثت في ايام أبي جعفر المنصور فأمر هذا الخليفة
بضرب نقود من الذهب والفضة اللذين كانا على الابواب وأنفقها
في تجديد الجهتين المار ذكرهما لكن الزلزلة التي حدثت بين سنة ٧٧٥
و ٧٨٥ ب م اخربت هذا الجامع بأكمله فأمر الهادي
ابن المهدي الذي وجده خرابا في أول خلافته باعادة بنائه لكنه
نقص من طوله وزاد في عرضه ثم وقع سقفه في سنة ١٠٦٠ ب م
فأصلحه المسلمون ثم جعله الصليبيون قصيرا ملوكيا في سنة ١٠٩٩
وسموه قصر سليمان ثم طهره صلاح الدين ووضع فيه المنبر النفيس
الآتي ذكره وطول هذا الجامع ثمانون مترا وعرضه ثلثا ذلك
تقريبا وبوسطه قبر يقال انه قبر أولاد هارون مع ان المشهور
انهم ماتوا في أرض الصحراء ولم ينظروا ارض الميعاد ويوجد
شرقي هذا القبر بئر تسمى بئر الورقة وبآخر الجامع قبة جميلة
النقش وبالجهة الغربية محراب وبجواره المنبر السالف
ذكره الذي يستوجب الذكر الجميل لحسن هيئته ودقة صناعته
وقد صنع في مدينة حلب في زمن السلطان نور الدين الذي تبوأ سرير
الملك في سنة ١١٤٥ ب م ثم يوجد بين هذا المنبر والجدار
الغربي محرابان احدهما الموسى والآخر للمسيح وبه أثر قدمه
الايمن وبالقرب منهما عمودان متجاوران يسميان عمودي التجربة
والاختبار وقد تأمل كل منهما موضع مرور الناس بسبب
قدمهما ثم يوجد بالجهة الشرقية خلف الجدار الجنوبي محراب
عمر بن الخطاب يقال انه قد صلى فيه عند افتتاح تلك المدينة
او بالشمال الشرقي من باب الدخول يوجد محراب لزكريا ووالده يحيى
أي يوحنا المعمدان

ثم يوجد بالجهة الشرقية للجامع الاقصى سلم باثنتين وثلاثين درجة يتوصل به الى مهد المسيح المنقور فى حجر اورشليمى وفى جنوبه سلم آخر يتوصل به الى محل تحت الارض مركب على ستة وتسعين عمودا حجرية مربعة منقوبة الاطراف لربط الدواب فيها وقيل ان هذا المحل كان اصطبلا فى مدة سليمان بانيه وهو الآن مشحون بالاتربة والقمامات

وبالجهة الشمالية فى حوش الحرم سلم يتوصل باعلاها محراب يقال ان أول الصراط من تلك الجهة والعلم عند الله وبالقرب من تلك الجهة شمالا يوجد محل مركب على أربعة اعمدة وفى شرقيه الشمالى شباك مسدود ان بالبناء يسميان باب الذهب أو باب الدهرية اللذين دخل منهما المسيح الى المدينة فى يوم عيد الزعف وهو قبل بالصليب الحقيقى ويوجد بالقرب من هذا المكان تخت سليمان بن داود وقيل انهم وجدوه عليه ميتا وبعد الخروج من باب الحرم الشريف الشمالى الشرقى توجد بركة تدعى بركة الدم غير انه لا يوجد بها شئ

وهذا الذى ذكرته هو الذى رأيته وبعض ما أخبرت به ولم أحدث بجميع ما قيل لى لعدم الخروج عن المراد بهذا المختصر

(الكلام على بحيرة لوط ونهر الاردن)

أما بحيرة لوط فهى شرقى مدينة اورشليم على مسافة عشرة فراسخ وطريقها وعرة جدا غير منتظمة ويوجد فى نصف الطريق مدفن يقال انه مدفن النبى موسى مع ان مدفن هذا النبى غير معلوم حتى لليهود ويلزم الانسان عند ذهابه من اورشليم الى تلك الجهة ان يستصحب معه ماء عذبا كى يشرب منه لان تلك المسافة خالية عن ذلك

وهذه البحيرة منخفضة عن اورشليم بألف ومائة وواحد وسبعين مترا
وبحدها شرقا وغربا سلسلة جبال شامخة اى جبل موايب شرقا وجبل
اليهودية غربا فأما جبل موايب فهو متصل بجبل نبو الذى مات النبى
موسى عليه بعد ان نظر أرض الميعاد من بعيد فى سنه ١٤٥١ قم
ويبلغ طول هذه البحيرة نحو العشرين فرسخا ومتوسط عرضها نحو
الاربعة فراسخ وعمقها نحو الثلثمائة واربعين مترا وماؤها صار من
أعلى فاتر من أسفل لكنه كثير الملوحة المشوبة بمرارة لانه مركب
من موريات الجير وسلفات الجير والمانيزيا والصودا وما اشبه
ذلك ولونه يظهر للرائى على بعد اخضر مائلا الى الزرقة وهو فى
الحقيقة أبيض كالبلور وخفيف جدا حتى انه يعوم على وجهه أعظم
الاثقال وراسخه أكثر ثخانة من باقى الاجر ولم يوجد فى هذه البحيرة
اسماك لانها لا تجد فيها ما يغذيها وبوسطها جزيرة بعيدة عن البر
بمائتى متر يقال لها تل لوط يشاهد الرائى فيها على بعد حجارة وبعض
مبانى وعلى شواطئها بعض أشجار مكللة بالشوك حاملة اثمارا فارغة
مثل تفاح صادوم وخروب ابن آوى وما يماثل ذلك وموضع هذه
البحيرة كان فى الزمن القديم ارضا خصبة الزرع وبساتين ذات أثمار
وأزهار فاخرة تسمى غابة الخشب كما هو مذكور فى التواريخ وكان
فيها ماء عذب فتحولت الى هذه الحالة عندما غضب الرب على سدوم
وعموره التى كانت فى جنوبها

وأما نهر الاردن فهو فى الشمال الشرقى على مسافة ساعة تقريبا من
البحيرة المذكورة وماؤه عذب ولونه أبيض كاللبن وهو كثير الاسماك
شديد التيار ومتوسط عمقه يبلغ خمسة امتار وعرضه لا يزيد عن
سبعين مترا وشواطئه مكسوة بالابسطة الخضراء الطبيعية المشحونة

بالطيور التي يتخيل للانسان انه في أحسن الجنات عند سماعه تغريدها ومشاهدته تلك المناظر الجميلة ومنبع هذا النهر من جبل الشيخ ومصبه في بحيرة لوط

(الكلام على عين كارم)

اعلم أن هذه البلدة على مسافة ساعتين من اورشليم وبطريقها كنيسة للروم قيل انها مبنية من عهد القرن السابع على المحل الذي قطع منه عود الصليب الحقيقي وذلك ان لوطا كان قد غرس هناك عودا يابسا بأمر الملاك فاورق وتفرع منه غصنان وصارا شجرة كاملة فقطع من احدهما عود الصليب ويزعم قسوس تلك الكنيسة ان الهيكل الوسطاني الذي فيها مبني على محل الشجرة المذكورة ويستدل من الرصائف المنقوشة فيها على انها من قبل الصليبيين ثم يمر الانسان بعد ذلك في وادي المدينة ثم من وادي دياب حتى يصل الى عين كارم وهي مدينة كفنوت سبط يهوذا القديمة وبها كنيسة يتوصل اليها من باب حديد صغير ويوجد في شرقها الشمالي سلم بست عشرة درجة ينتهي بكابلة منقورة في الصخر يقال انها كانت مسكن زكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان وبهذه المدينة التي صارت الآن من تقادم الزمان ضيعة صغيرة مدرستان احداهما للذكور والاخرى للاناث وأما طريقها فهو وعر جدا لان الانسان السائر فيه يصعد تارة على قمة جبل شامخ وتارة أخرى يهبط الى واد عميق وذلك من طريق لا يزيد عرضه عن النصف متر فلو زلت قدمه لوقع مقطعا ومهشما في أسفل الوادي

(الكلام على بيت سلم وبرك سليمان)

اعلم أن بيت لحم هي على مسافة ساعتين من اورشليم فيخرج قاصدها من الباب المعروف بباب الخليل الى جهة الغرب البلنوبية ويمر بمساكن اليهود الحديثة البناء الكائنة خارج المدينة ثم يمر من طريق سهل فيجد بعد مسافة بئر النجم الذي تبعته المجوس الى اورشليم وقد غاب عنهم عند ما دخلوا المدينة لزيارة هيرودس ولم يظهر اليهم ثانيا الا عند هذه البئر فتبعوه حتى وصلوا الى المهد الذي ولد المسيح فيه فلذلك سميت بهذا الاسم

ويوجد في الطريق على اليسار دير مار ايلياس المصنوع على شكل حصن وهو للروم وقد بناه هرقل في القرن السابع للمسيح ثم هدمته زلزلة عظيمة فبناه ثانيا الامبراطور عمانويل في سنة ١١٦٥ وبه كنيسة مزخرفة تشتمل على قبر مار ايلياس الذي كان مطرانا للروم في بيت لحم ومات في سنة ١٢٤٥ بهم ولما تهدم اخيرا بناه المطران دوزيتاوس في سنة ١٦٧٨ ويقرب من هذا المكان ضريح على اليمين مربع يبلغ قطره ثمانية امتار تعلوه قبة يقال انه قبر راحيل زوجة يعقوب وهو محترم عند المسلمين واليهود وبالقرب منه قرية صغيرة يقال لها بيت جالا وآبار داود وهي برك بسيطة وبعد ذلك بيت لحم وهي مرتفعة عن البحر بثمانمائة وستة واربعين مترا لانها على جبل وحولها أودية مزروعة ولاهلها حذاقة في نقش الصدف والخشب ونحو ذلك غير ان افتهم العربية ضعيفة جدا وقيافتهم وثيابهم غريبة الشكل والوضع خصوصا النساء فان على رؤوسهن شيأ بشكل طاسة بدائرها ذهب أو فضة أو نحاس بحسب ميسرتهن ويعلوها طرحة من قماش قدرة وذلك مشتوماتهن مع حسن شكلهن في الحقيقة

وأما تاريخ وجود هذه المدينة فهو في ظلمة كثيفة ولم تعرفها المؤرخون قبل سنة ١٧٤٠ ق م ثم ولد فيها إبصان الذي تولى القضاء في بني اسرائيل سبع سنين وكان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة ومات ودفن فيها في سنة ١١٧٥ ق م ثم مسح ثم ويل فيها داود ملكا على بني اسرائيل في سنة ١٠٧٢ ق م حيث كانت مقره وغير ذلك ثم ولد فيها المسيح من مريم وبنى المسيحيون على محل الميلاد هيكلا في القرن الاول من التاريخ المسيحي فهدمه ادريان في سنة ١٣٥ وصنع في مكانه هيكلا للزهرة ثم هدم وبنى مرات اخرى بعد ذلك حتى ذهب الى هنالك عمر بن الخطاب ودخل في مغارة الميلاد بعد ان رفع الحصار عن بيت لحم وصلى فيها وصرح للمسلمين بالدخول اليها للصلاة ثلاثة بعد ثلاثة فقط واستمر الخلفاء من بعده ثلاثة الجهة احتراما جزيلا ثم أخذها الصليبيون وأخذت منهم المرات العديدة ثم استرجع أخيرا نابوليون الثالث كنيسة الميلاد في سنة ١٨٥٢ عند ما طلب من الدولة العثمانية تسليم مفاتيحها الى قسوس اللاتين ورداها بدل ما فقد منها ورحاب هذه الكنيسة واسع ذو طلاقة ينتهي بباب صغير يتوصل منه الى داخلها الفسيح الذي كان مشحونا بالعساكر وقت حضوري هنالك حسما لنزاع القسوس وبداخلها مغارة الميلاد لها بابان أحدهما من كابلة اللاتين والآخر من كابلة الارمن وبالجهة الشرقية من هذه المغارة يوجد مهد عليه رصائف منقوشة من أيام الصليبيين ورخامة بيضاء منقوية وعليها نجمة من الفضة منقوش عليها هنا ولد يسوع المسيح من مريم العذرى وعليه خمسة عشر قنديلا للمذاهب المشتركة مشتعلة على الدوام وبأعلاه هيكل وبجهة الجنوب الغربية منه ثلاث مراق تنتهي بمهد آخر يبلغ طوله مترين

ونصفا وعرضه مترات وثلث وهو منقور فى الصخر وعليه هيكل وفى شرقيه هيكل الملوك المجوس الذين اهدوا فيه الهدايا للمسيح ويوجد بالجهة الغربية نقرة فى الصخر قيل ان العذرى كانت تضجع فيها يسوع ولدها وعلى جوانب تلك المغارة ستائر من قماش فاخر أهدى اليها من الدولة الفرنساوية فى هذه الايام بعد المعركة التى حصلت بين القسوس وطولها عشرة أمتار ونصف تقريبا ومتوسط عرضها أربعة أمتار وسقفها قبو اصطناعى لان الصخر شديد اللين ولا يتحمل ثقل بناء الكنيسة التى فوقه وبغربيها دهليز ضيق يقرب منه هيكل موضوع على المحل الذى ظهر فيه الملاك الى مار يوسف وأمره بالفرار الى أرض مصر مع المولود وأمه وبالقرب منه خمس مراقى يتوصل بها الى هيكل موضوع على المحل الذى دفن فيه هيرودس الاطفال الذين قتلهم هناك عندما كان يبحث عن يسوع ويوجد بالجهة الشمالية بعض هياكل مبنية على قبور بعض الصالحين الا انها فى مغارة أخرى خلاف مغارة الميلاد وقد جعلها مار قيس كنيسة اللاتين نافذتين لبعضهما فى سنة ١٥٥٦ بم وبكل اسف أقول انى لما وصلت الى الحدود الفاصلة بين كابلة الروم وكابلة الكاثوليكيين بعد ان صعدت من مغارة الميلاد ما شعرت الا وقد وجه الى بعض العساكر الطرس هناك سنجة بندقية بدون ان يسمع منى كلاما لا اضارا ولا انانا وبدون ان يخاطبنى أيضا بشئ وكان قسيس رومى واقفا بجوار الهيكل الذى كنا بجذاته فلما شاهد من ذلك العسكرى ما حصل منه تبسم ضاحكا ولم يزجره عن سيئ فعله مع انه كان متعينا عليه اذا رأى شيأ مثل ذلك ان يسعى فى اصلاحه بمقتضى وظيفته خصوصا وانه رأى منى حالة الزائر الغريب عن الاوطان الذى يجب اكرامه على كل

من قدم عليه وانما غرضه بمثل فعله هذا اغاظتي واغاظة من كان مهي من القسوس الكاثوليكيين الذين أنا تابع لهم وهذا منه مجرد حظ نفس واتباع شهوات ولو نظر الى غرض الدين الاصلي لما فعل ذلك وهكذا يوجد بعض رؤساء تحملهم الحماقة وعدم التبصر على ارتكاب أفعال مثل هذه لاسيما وانه نشأ عن اغراضهم الفاسدة تشعب المذاهب المسيحية الى فرق متنوعة كالكاثوليكيين والارثودوكسيين والشيذماتيكيين والهراطقة والبروتستانتيين وغيرها فكلمة كاثوليكيين مشتقة من كاثوليكوس الكلمة اليونانية ومعناها الجامعة اي الديانة العمومية وهي المذهب الباباوي وكلمة أورثودوكسيين يونانيتها اورثوس بمعنى المستقيم ودوكسا بمعنى الرأي اي المذهب المستقيم وأهل هذا المذهب ولو اتبعوا المذهب الباباوي الا انهم بمعزل عنه وكلمة شيذماتيكيين يونانيتها شيذماتيكوس بمعنى المفترق والمعاند لان كلمة شيذو باليونانية بمعنى افرق واقسم وأهل هذا المذهب معاندون للمذهب الباباوي واما البروتستانتيون فهم معتزلون عن جميع المذاهب المتقدم ذكرها مع ان الله واحد ودينه واحد وقد أمرهم المسيح بأن يكونوا كلمة واحدة فاستبدل هؤلاء الرؤساء اتباع أمر المسيح بمخالفته بافتراقهم الناشئ عن حب رياستهم وتشعبهم الى فرق كثيرة

ثم اني لما حصل لي من العسكري المذكور وما حصل وشاهدت من القسيس المحكي عنه غاية الجبن تركت ذلك المكان ومضيت الى المغارة المعروفة بمغارة اللبن وهي في زقاق على اليسار على نحو خمس دقائق من الجهة الجنوبية لكنيسة الميلاد يقال انه لما هرب مار يوسف بالصبي وأمه ذهب بهما الى تلك المغارة وتوارى فيها الى ان حان وقت

هروبهم الى مصر وفى أثناء اقامتهم فيها وقع على الارض بعض نقط
ابن من ثدى مريم العذرى عندما كانت ترضع ولدها فجذب حجر هذه
المغارة خاصية ادرار اللبن وهى مغارة صغيرة يتوصل اليها ببعض
مراق وفيها هيكل واحد على اليسار للآتين

وأما بركة سليمان فهى ثلاثة على مسافة ساعة من بيت لحم بجهة
الجنوب الغربية

ويوجد فى طريقها بعض آثار قديمة منها مكان به لولب بواسطته يصل
الماء من هذه البرك الى البركة الموجودة فى الحرم الشريف السالف
ذكرها وطول البركة الاولى مائة وعشرون مترا وعرضها سبعون مترا
وعمقها ثمانية امتار تقريبا وعلى مسافة خمسين مترا منها البركة الثانية
وهى اكبر من الاولى ثم على مسافة خمسين مترا اخرى توجد البركة
الثالثة وهى أكبر من الثانية وجميعها تملأ من مياه الامطار فى زمن
الشتاء فقط وحظيت فى اورشليم بمعرفة حضرات ذوى العقل والكمال
والرقة وجيد الخصال رزق الله أفندى بليط ترجمان متصرفية
القدس الشريف وبرجى أفندى أخيه الطيبين أصلا وقد عاملانى
بما تعودا عليه من مكارم الاخلاق وحسن ملاقاة الغريب
فاتتنست بصحبتهما وتسليت بوجودهما فى تلك المدينة حيث
اطلعانى على أحوالها وبعد ان قضيت الوطر من زيارة تلك الجهات
ودعتهما ورجعت الى مدينة يافا وكانت قد رست فى ميناها السفينة
البخارية النمساوية المسماة ديانا فركبت فيها قاصدا الديار المصرية عن
طريق بورت سعيد فكانت من أحسن مركب سيرا ونظافة وحسن
ترتيب ولطافة يتراءى للمسافر فيها انها سفينة فرنساوية

وفى اليوم الثانى وصلنا الى ميناء بورت سعيد وهى ميناء فسيحة بينها

ويسارها حجارة عظيمة موضوعة لمنع الرمال عنها وهي ذات امنية بالنسبة للسفن بحيث انها تستمر داخلة فيها حتى تقرب من الشاطئ بمسافة نحو الخمسين مترا تقريبا فنزلت هذه البلدة الحديثة الوجود التي تأسست في شهر تموز سنة ١٨٥٩ عند الشروع في اتصال البحر المتوسط بالبحر الاحمر وحررت بقلم الباسابورتات وديوان الكمرك فوجدتهما محتاجين بمن يليق بهما من الموظفين المتقنين لادارة تشغيلهما ولمناسبة ما بيني وبين حضرة عثمان بيك عرفي محافظ تلك البلدة من الصحبة والوداد أقمت فيها ذلك اليوم وكان هناك حضرة عبد السميع بيك وكيل المحافظة وابراهيم أفندي رافت وكيل مصلحة التلغراف وغيرهم من ذوي الاعتبار ومكارم الاخلاق

وطرق هذه البلدة فسيحة ومنتظمة ويصل اليها الماء العذب من الاسماعيلية بواسطة قناة من حديد ويبوتها طريفة المنظر ويخيل لرائيها انها بلدة أوروبية صغيرة وقد زينها حضرة الخديوي اسمعيل الاول ببعض عساكره التي تضرب الالحان الموسيقية في مساء كل يوم في روض ظريف هناك يعرف بالمنشية وبالقرب منها قرية صغيرة مخصوصة باقامة أبناء العرب مشحونة بالمساكن المصنوعة بالخشب وبعد ان أقمت مدة النهار وجزأ من الليل في تلك البلدة الجميلة ودعت هؤلاء السادات والاحباء الذين لقيت منهم غاية الاكرام وركبت في احدى السفن البخارية الصغيرة نصف الليل التي تسافر من تلك البلدة كل ليلة في هذا الوقت الى بلدة الاسماعيلية وتسمى سفن البوسطة فما أصبح الصباح حتى دخلنا الاسماعيلية وهي بلدة حديثة الوجود جيدة الهواء والتربة منتظمة الطرق وبيوتها منظمة ومتقنة البناء تقر العين برؤية رياضها وبساتينها

الزاهرة وكان تأسيس هذه البلدة عند الشروع فى اتصال البحر المتوسط بالبحر الاحمر وأخذت فى الاتساع فى سنة ١٨٦٣ بمساعدة حضرة الخديوى اسماعيل الاول الذى تولى أمر الخديوية فى ١٨ كانون الثانى من السنة المذكورة وسماها باسمه وكانت تدعى قبلا التمساح لكنها مع حسن مركزها وموقعها الآن وجودة هوائها قليلة السكان نظرا لقلة الاشغال التجارية فيها

ويوجد بالقرب منها قرية لابناء العرب مثل القرية التى بجذاء بورت سعيد وبينما أنا أتناول الطعام فى اللوكاندة التى ذهبت اليها هنالك اذ رأيت الشاب العاشق داخلا مع بعض الناس ولما رآنى أسرع نحوى وهو يلوح على وجهه السرور واخبرنى انه التقى بمعشوقته ومن كان معها وكانت قد مرضت مرضا ثقيلا ومات فى أسوأ حال ثم تركنى وذهب الى حال سبيله

وبعد ان تناولت الطعام ذهبت متفرجا على اسواق تلك البلدة التى يزيد حسنها وجود البحيرة المالحة والترعة الحلوة فيها وبعد وصول الترعة الاسماعيلية الجارى التشغيل فيها الآن من طرف الحكومة المصرية اليها تصير حمارضة الاقطار المصرية لاسباب كثيرة لا يسعنا ذكرها وفيها قصر جميل للحضرة الخديوية وكان قد صنع به وليمة لحضرات الملوك الذين شرفوا هذه الديار فى شهر تشرين الاول سنة ١٨٦٩ لمشاهدة افتتاح قنال برزخ السويس وكنت اذ ذاك ممن كانوا مشرفين بتوظيفهم من طرف الحكومة المصرية للاقامة المدعوين من الاقطار الاوروبية لتلك الوليمة الملوكية فى تلك الجهات

وبعد ذلك رجعت من سجياحتى مسرورا بطريق السكك الحديدية

الى مصر المحمية بوافر احسانات وحسن مساعي ونظامات
سمو الخديوي الاعظم اسمعيل الاول اطال الله عمره سنينا عديدة
وأياما مديدة

وقد وقعت عندي هذه السياسة موقعا جميلا وشكرت ربي على
تيسيرها الى واتمام نعمته على شكرا جزيلا حيث اني شاهدت بعض
حسن الآثار التي شرحتها وجميل الاخبار التي سطرتها الاسماع وانى
رأيت وعرفت اناسا متحملين بحلل الظرافة متحلين بأنواع المعارف
واللطافة وهذا آخر ما أردنا ايراده من لطيف الاخبار وظريف الآثار
بعون الله الواحد القهار

تم بعون القوى المتين طبع الدليل الامين للسياحة البهية
في الاقطار المقدسة الشامية بالمطبعة العامرة الزاهية الزاهرة
المشرقة كواكب سعدها المتوقدة دواعي مجدها في ظل من تعطرت
بثنائه الافواه وبلغ من كل وصف جميل منتهاه صاحب الطلعة البهية
والدولة العزيزية من عم جوده كل فقير ومل جنابه العزيز اسمعيل بن
ابراهيم بن محمد علي أدام الله دولته وسدد صولته ولما حدثت
عند ارادهم البراعة انطلق يقرظه ويمدح الخديوي في ميدان
البراعة فقال

يا مطربا سمعي بضرب العود * أحى الشجى بطنك المعهود
واذكر حديث ملك مصر وجوده * كيما تشنف مسمعي المكدود
وأدر لتمديد المعارف اكؤسا * فلربما بسماحة ملكه المشهود
لاسيما ما سطرته أنامل * في رحلتي للشام والتردید

وكتبه دار الطبع الطف صلة * تزهو محاسنها بنظم عقود
الله يحفظه ويبقي عزه * وديم انجمالاله بسعود
ماقلت فيما ارتجيه مؤرخا * اضحى مجيد بقاه أكبر عيد

٨١٩ ٨٥٧ ١٠٨ ٢٢٣ ٨٤

١٢٩١

وكان طبعه الميمون وغيله المصون مشمولا بادارة ذي العزة
والمكانة حضرة حسين بن حسني مدير المطبعة والكاغدخانه
ونظارة من عليه محاسن أخلاقه تثني حضرة محمد أفندي حسني
وملاحظة ذي المقام الامجد حضرة أبي السعدين أفندي أحمد واما
تمام طبعه فكان في أواخر ذي القعدة الحرام من سنة ألف ومائتين
واحدى وتسعين من هجرته عليه وعلى آله الصلاة والسلام
ما غرد الحمام وطاب الوصل لمستهام